صورة الذات والآخر في السيرة الذاتية
(عبد الرحمن بدوي نموذجا)

دكتور

وجيه يعقوب السيد

أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية

كلية الألسن – جامعة عين شمس

مقدمـــــــــــــــــــة:

الدراسات النقدية التي تدور حول فن السيرة الذاتية في ازدياد مستمر، وهوما يعكس خصوبة هذا الفن وتنوعه وثراءه، ويؤكد على قدرة مبدعيه على انتزاع مكانة مميزة لهذا الجنس الأدبي الحديث نسبيا في الأدب العربي، الذي يؤرخ لظهوره بصدور (الأيام) للدكتور طه حسين، تلك السيرة الروائية التي واكب صدورها ظهور حركة نقدية جادة، تبحث في جذور هذا الفن وتحاول تأسيس جماليات خاصة به، تراعي خصوصية هذا الجنس الأدبي الذي يجمع بين عنصرين أساسين، هما: العنصر الوثائقي والمعلوماتي، والعنصر الفني والجمالي.

ويسلط هذا البحث الضوء على قضية مهمة من قضايا السيرة الذاتية، حيث تعكس لنا الطريقة التي يفكر بها الكاتب، وتصوره لنفسه وللعالم المحيط به، فلكل كاتب صورة ذهنية وتصور معين لنفسه وللآخرين، قد يكون هذا التصور صحيحا أو مبالغا فيه أو مغلوطا، لكن هذا التصور – على أية حال – هو الذي ينقل الكاتب من خلاله إحساسه بالأشياء وفكرته عن الأشخاص المحيطين به، ومدى قربه أو نفوره منهم.

ولتحقيق هذا الهدف على النحو الذي أطمح إليه، اخترت "شخصية" الدكتور عبد الرحمن بدوي، وهو قامة فكرية كبيرة، قدم العديد من الأعمال الفكرية والفلسفية والأدبية الجادة والعميقة، التي أسهمت بدورها في إرساء دعائم النهضة العربية المعاصرة، وفي تشكيل وعي النخبة ووجدانهم؛ فالدكتور بدوي يعد من أوائل من قدم أرسطو وأعماله الكاملة للمكتبة العربية بصورة شاملة، وهو أهم من كتب عن نيتشه واشبنجلر وهيدجر وغيرهم من الفلاسفة الوجوديين، ولا يخفى ما لهؤلاء من تأثير طاغ في كتابات العديد من الكتاب والأدباء والعسكريين والسياسيين.

ولا شك أن حياة الدكتور بدوي تستحق البحث والتأمل في حد ذاتها، سواء على المستوى العلمي والأكاديمي وما أنجزه من مشروعات كبرى يعجز العشرات من

الباحثين عن القيام بها مجتمعين، فهو دائرة معارف لا تقل في حجمها عن دوائر المعارف الفلسفية المعروفة عالميا، وهو مبدع في الأدب والشعر، ومؤرخ وناقد لتراث الإنسانية بأجمعه، من العصر اليوناني إلى العصر الحاضر، وله في الإسلاميات باع المحقق الناشر لمخطوطات لم يسبقه إليها أحد.[١]، أو على المستوى الشخصي والإنساني، فقد اختار الرجل لنفسه نمطا فريدا من الحياة، يصعب أن تجد عليه كثيرا من الناس، حيث اختار العزلة أو ما يشبه العزلة، متجنبا الأضواء ومستعليا على لعاعة الدنيا، التي تنافس عليها من هم دونه مكانة وعلما فكانوا ملء السمع والبصر، بما قدموه في سبيل ذلك من تنازلات. ولذلك فقد اكتنفت حياته وشخصيته الغموض، وخضعت لتفسيرات شتى، وهكذا دائما هي شخصيات العظماء والمتفردين، فالدكتور بدوي كما يراه الأستاذ محمود أمين العالم – وهو أحد تلامذته: كان التجسيد المثالي النيتشوي الحي، لكنه كان يمارس نيتشويته ممارسة استعلائية، تقيم بينه وبين طلبته والآخرين عامة مسافة شاسعة غامضة.[٢]

ونظرا لثراء تجربة الدكتور بدوي وتنوع مجالات كتاباته وإبداعاته، فقد حددت هدف البحث في نقطة واضحة ومحددة وهي: تجلية صورة الذات والآخر كما تصورها الدكتور بدوي، وذلك من خلال عملين سيريين، كتبهما المؤلف على فترات متباعدة وبأشكال مختلفة، لكنهما يعكسان بوضوح موقفه من الآخر ورؤيته للذات. هذان العملان هما: (هموم الشباب)، وقد كتبها في مطلع شبابه عام ١٩٤٦م في قالب قصصي، و(سيرة حياتي) وكتبها في أخريات حياته عام ١٩٨٨م على صورة مذكرات ويوميات في نحو ثمانمائة صفحة، ترجم فيها لنفسه وأهم أعماله وإنجازاته ورحلاته لمختلف دول العالم.

ويشير مصطلح صورة الذات في الدراسات النفسية والاجتماعية إلى النسق التصوري، الذي يتبناه الفرد حول الخصائص النفسية والاجتماعية والبدنية التي ينسبها

إلى نفسه، كما يشير إلى الخصائص العقلية والسلوكية والاجتماعية والانفعالية التي تنسبها جماعة معينة من البشر إلى نفسها. إن صورة الذات تعني نظرة الفرد أو الجماعة أو الشعب لذاته، أي ذلك الوصف الشامل الذي يمكن أن يقدمه الفرد عن ذاته، وقد تكون هذه الصورة واقعية أو مثالية، ويمكن النظر إلى صورة الذات من منظور داخلي: أي الطريقة التي نرى بها أنفسنا من الداخل، أو من منظور خارجي: أي الطريقة التي نعرض بها أنفسنا على الآخرين في الخارج.[٣] إن القاعدة الأساس لتصوير الذات هي: لن أروي لكم ما فعلت (سيرة ذاتية) بل سأقول لكم من أنا(عرض للذات).[٤]

ومن أجل تحقيق هذه الغاية، قمت بدراسة عدد من القضايا ذات الصلة المباشرة بموضوع البحث، وفي طليعتها: دوافع الكتاب لتدوين سيرتهم الذاتية وعرض تفاصيل حياتهم على الناس، مع ما قد يعرض حياتهم الشخصية للنقد والتشويه والانتقاص، خاصة إذا كنا أمام شخصية تقدم نفسها وتجاربها للناس بشكل صريح وحادكما هو الحال مع الدكتور بدوي، كما أن مجتمعاتنا لا تحسن بعد تلقي مثل هذا النوع من الكتابة، فالكثيرون لا يفرقون عند قراءتهم لنماذج من السيرة الذاتية، بين ما هو واقعي وحقيقي من أحداث وبين وما هو متخيل وغير واقعي في الكتابة السيرية الإبداعية، إضافة إلى أن القراء لدينا لا يغفرون الزلل والأخطاء التي يذكرها الكتاب بسهولة، بل قد يتخذون منها وسيلة للتشهير بالكتاب وتصفية حساباتهم معهم. فهل تستحق الشهرة والإعلان عن الذات وذكر إنجازاتها مثل هذه المغامرة؟

أما القضية الأخرى المهمة التي تتعلق بموضوع البحث، فهي البناء السير ذاتي والطريقة التي اختارها الكاتب لتدوين أحداث حياته، ولماذا اختار الكاتب هذا الشكل بالذات دون غيره. وقد اختار الدكتور بدوي شكلين مختلفين لتدوين سيرته الذاتية كما

ذكرنا، وربما فرض عليه ذلك طبيعة الموضوع الذي يتحدث عنه، والزمان الذي دار فيه، والغاية التي تحكمه في كلا العملين.

وقدم البحث دراسة نظرية مختصرة عن صورة الذات، وما يتعلق بدراسة الشخصية في الدراسات النفسية الحديثة، وذلك بغرض الاستفادة مما قدمته مدارس التحليل النفسي في هذا المجال، ومن أجل تفسير ما يغمض علينا من بعض المواقف والأحداث في حياة الدكتور بدوي.

وأفرد البحث المساحة الأكبر لدراسة صورة الذات وصورة الآخر في هموم الشباب وسيرة حياتي بأشكالها المختلفة والمتعددة، كما اشتملت الدراسة على خاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

د. وجيه يعقوب السيد

أستاذ مساعد – كلية الألسن

قسم اللغة العربية

دوافع كتابة السيرة الذاتية:

تختلف دوافع كتابة السيرة الذاتية من كاتب لآخر ومن زمن لزمن ومن ثقافة لأخرى، فقد كانت أهم دوافع العلماء والمفكرين العرب القدماء لتدوين سيرهم الذاتية، خوفهم من تناول غيرهم من الكتاب لحياتهم الشخصية، وربما جانبهم الصواب أو سوء الفهم والتحليل فينسبون أخبارا غير صحيحة لهم، وقد تأتي كتابة هذه السيرة استجابة لطلب بعض تلاميذهم ومريديهم كي يفيد الناس منها، ويأتي على رأس هذه الدوافع – كما ذكر كثير من كتابنا– شكر الله على نعمه وعطائه لهم.[٥]

ولا شك أن الثقافة والخلفية المعرفية للكاتب تؤديان دورا في هذا الاتجاه، فقد لاحظ كثير من النقاد والباحثين أن دوافع تدوين الكتاب الغربيين لسيرهم الذاتية تختلف عن دوافع الكتاب العرب والمسلمين؛ فالكتاب الغربيون يحرصون من خلال السيرة الذاتية على تقديم النصيحة للقارئ كي يتحاشى السقوط في أخطاء المؤلف، ونظرا لشيوع هذا الفن ووجود تقاليد راسخة على مستوى الكتابة والتلقي، فإن الكاتب لا يتجمل ولا يخجل من رواية الأحداث التي مر بها بشفافية ووضوح، وربما يكون هذا الأمر منسجما ونابعا من فكرة الاعتراف في الدين المسيحي، في حين أن الدافع الأبرز للكتابة لدى الكتاب العرب والمسلمين يكمن في دعوة القارئ للاقتداء بهم، ومن ثم فهم يروون عادة ما يتسق مع هذا الهدف فلا يروون من الأحداث سوى تلك الأحداث التي تصب في هذا الاتجاه، مغفلين الحديث عن السلبيات والنقائص والأمور الخاصة، وهذا ما ينسجم أيضا مع دعوة الدين الإسلامي للستر وعدم نشر المفاسد.[٦]

ومع تطور العلم وطرق التحليل النفسي، وجد الكاتب المعاصر فرصة يعرض فيها مجرى حياته الباطنية وتجاربه الروحية، ومنهلا للتحليل النفسي الدقيق الذي يكشف عن خبايا النفس وقواها ومدها وجزرها وضلالها وهداها. وسواء كانت الكتابة من أجل تخليد النفس أو تحليلها، فإن كلا النوعين يتجه إلى الخارج ويفترض وجود

أناس يتحدثون إليهم بهذا الحديث، فهم يخاطبون شيئا آخر غير نفوسهم، وفي الوقت نفسه يخاطبون نفوسهم.[٧]

إن محاولة التعرف على النفس البشرية ودراستها بصورة عميقة، تعد من أهم دوافع كتابة السيرة الذاتية، وذلك بهدف إدراك الكتاب والمبدعين للجوانب الخفية والعميقة في شخصياتهم، ولذلك تحمل أغلب التراجم والسير عنوان: ترجمة النفس أو الذات، أو تستخدم ضمير المتكلم بصورة واضحة مثل: مذكراتي، أو: أنا، أو: سيرتي الذاتية. فالسيرة الذاتية تمثل" تاريخ ذات تتوصل إلى الوعي بذاتها من خلال قوى الوعي والعقل والتواصل مع الآخر أو مواجهته"[٨]

وربما كان من أهم دوافع جيل الرواد في مصر واتجاههم إلى كتابة سيرهم الذاتية، رغبتهم في تحرير الإنسان المصري وإبراز وجوده المتميز واستقلاله الذاتي. وكذلك شكل الصراع بين القديم والعادات الموروثة وبين الجديد والمنشود سببا آخر لكتابة السيرة الذاتية، من أجل تأكيد الذات وتفردها، خاصة في ظل ازدواجية التعليم الذي حصل عليه هؤلاء، وتأثير ذلك على ثوابتهم ومعتقداتهم، حيث امتد هذا التناقض وهذه الازدواجية إلى الشك في كل شيء، بما في ذلك الحضارة العربية ذاتها.[٩]

وقد انعكس أثر هذا التمزق وهذه الحيرة على نفسيات الأدباء، وتجسد في رفضهم الواقع كما هو الحال في كتابات توفيق الحكيم، وفي الإحساس المفرط بالذات كما الحال عند العقاد، ومن خلال الإحساس الدائم بالغربة التي عانى منها أدباء هذا الجيل. وكانت السيرة الذاتية هي وسيلة هؤلاء الكتاب لمواجهة هذا الواقع، والقيام بدورهم في تحرير المصريين من الوهم والخرافة وإبراز استقلالهم الذاتي.[١٠]

ولا شك أن هناك أسبابا كثيرة ودوافع عديدة وراء تدوين الكتاب لسيرهم الذاتية، منها البحث عن الشهرة أحيانا، وتقديم شهادة مختلفة عن العصر تعبر عن وجهة نظر أصحابها، وربما من أجل تمجيد الذات أيضا والفخر بما أنجزه صاحب السيرة، وإن

كان الأديب الحق ليس هو بالطبع الذي" تقوده رغبة في تمجيد ذاته بل في تقصيها. ولم يصل كاتب انساق في عمله إلى التمدح بنفسه إلى مستوى الفنان"[١١] وإذا كان لا بد من تأكيد الكاتب على ذاتيه والشعور بنرجسيته، فيجب أن يدرك المبدع" أن نرجسية الفنان نرجسية محورة أو منقولة، أو لنقل إنها نرجسية ملغاة يعوضه عنها العمل الفني بنرجسية أرحب"[١٢]

وقد يفسر لنا هذا الطرح بعض الجوانب في شخصية الكاتب الكبير الدكتور عبد الرحمن بدوي ودوافعه لكتابة سيرته الذاتية، حيث كان الرجل كما يقول عنه بعض تلامذته "مسرفا في الاعتداد بذاته، حتى أنه في موسوعته الفلسفية لم يورد أي فيلسوف عربي، سوى نفسه وأستاذه الشيخ مصطفى عبد الرازق. وأغلب الظن أن هذا كان وفاء منه للأستاذ"[١٣]

ومن دوافع بدوي لتدوين سيرته الذاتية في (هموم الشباب)، محاولة بث الوعي لدى الشباب خاصة، وأن تكون هذه السيرة دليلا للشباب التائه في الوطن العربي، تأخذ بأيديهم نحو النهضة والتقدم والتحرر من كل أثر سلبي للشيوخ، الذين أفسدوا كل شيء بسلبيتهم وتخاذلهم وتحكمهم في مصير هؤلاء الشباب، وأن يكون مصيرهم بأيديهم هم، لا بأيدي دهاقنة السياسة والفكر ودعاة الإصلاح والتقليد، ولذلك كانت السيرة دراسة تشريحية وتحليلية، للعديد من الظواهر الاجتماعية والسياسية والدينية السلبية، وفيها مقارنة مستفيضة بين جيل الشباب وجيل الشيوخ، وبين الشباب المصري والشباب الأوربي، وبين الحياة في مصر والحياة في أوربا.

ويرجح ما قلناه أن المؤلف قد كتب (هموم الشباب) في مقتبل حياته، ولم تكن تجربته الإبداعية قد اكتملت بعد، ولا يملك الكثير من إنجازات أو التجارب لكي يتحدث عنها أو يتباهى بها، لكنه كان شابا مفعما بالحيوية والأمل، ويتطلع لمستقبل ناجح لنفسه ولوطنه، فأقدم على تسجيل هذه التجربة الفنية، ووظف من خلالها معرفته

الفلسفية وخبراته الحياتية رغبة في التعرف على حقيقة ذاته وتقديم صورة صيحة عن الآخر، من أجل الوقوف على أبرز العيوب الاجتماعية والتشوهات الأخلاقية والنفسية، وذلك من خلال رؤية شاب واع، ولديه الرغبة في إصلاح هذا الفساد المتجذر. فلذلك نراه يتحدث عن العديد من العيوب الاجتماعية والأخلاقية المتأصلة، مثل النفاق والتملق والطمع والسلبية، التي لا يكاد يخلو منها أحد من الناس، ويرى بدوي أن سلوك بعض العاهرات وبنات الهوى ربما يكون أشرف من سلوك أولئك الذين يتملقون أصحاب السلطان والثراء، خاصة أن بعضهن قد يمتهن هذه المهنة مضطرات أحيانا، فما سبب سلوك بعض المثقفين والكتاب والمفكرين هذا المسلك؟[١٤]

كما يتحدث عن الشر الذي يملأ النفوس ويراه "أعدل الأشياء قسمة بين الناس"[١٥]، ويتحدث عن فقدان مصر في ذاك الوقت لهويتها وملامحها، سواء في مبانيها غير المتجانسة أو في ترددها بين المذاهب الوافدة والأصيلة، وعدم تبنيها لنظام واضح في الفن والأدب والاقتصاد والعلم يؤكد شخصيتها وهويتها، ويقارن بين الشباب المصري التائه حيث يعاني من المستقبل المجهول، بينما الشباب الأوربي عركته الحروب وألقت به في أتون الحياة. فالشباب المصري كما يراه المؤلف أسوأ حالا من الشباب الأوربي في كل شيء، لأن الشباب الأوربي– حتى وإن كان يعاني من العديد من المشكلات هو أيضا – يتطلع لمستقبل أفضل بعد انتهاء الحرب العالمية، أما الشباب المصري ومعه سائر فئات المجتمع فكانوا "مجرد قطع مهلهلة لا تصلح إلا لحشو الوسائد الدولية التي ستتربع عليها الدول الكبرى"[١٦]

ويجسد المؤلف أبرز هموم الشباب المصري في تلك الحقبة، وأهمها من وجهة نظره: تضاؤل أثر التراث الروحي والمادي في النفوس، مع الإبقاء على بعض المظاهر والعادات الزائفة، وعدم وجود رموز سياسية ودينية ليقتدي بها هؤلاء الشباب، مما عزز من روح الهزيمة والضعف في نفوسهم، وأذكى الصراع بين قيم القديم

والجديد، وانبهار العديد من الناس بتجارب الآخرين في الغرب والشرق مع عدم القدرة على مجاراتها، حيث إننا أخذنا من الغرب القشور والأمور الهامشية، وتركنا ما هو جوهري وعميق في المجالات كافة.[١٧]

وللخروج من هذا الضعف والتردي، أقدم مؤلف السيرة بالاتفاق مع مجموعة من الأصدقاء: عالم وفنان ومفكر وضابط – بما يرمز إليه عمل كل واحد منهم – على هذه التجربة وسعوا من خلالها إلى تغيير العالم، لكنهم يخطئون الهدف وينتهي الأمر بأربعتهم إما إلى السجن وإما إلى الانتحار" وهكذا لم يبق من هذا الرباع المسكين غيري أنا البائس. لكن يعزيني أنني سألحق بهم عما قريب. فكل المحاولات التي بذلها الطبيب الطيب لإنقاذ رئتي اليسرى ذهبت سدى؛ وامتد الداء إلى اليمنى وعما قليل سيودي بها هي الأخرى"[١٨]

وبذلك يتضح لنا أن من أهم دوافع كتابة الدكتور بدوي لسيرته الذاتية في هذا الوقت المبكر من عمره، لم يكن تقديم شهادة عن العصر ولا تقديم صورة معينة عن إنجازاته العلمية والفكرية، أو تعريف الناس بحياته الشخصية كما هو شائع لدى كتاب السيرة الذاتية، بل جاءت (هموم الشباب) أقرب إلى التحليل السياسي والنفسي والاجتماعي، ومحاولة فنية تستند إلى مواقف شخصية من حياة المؤلف، قصد من ورائها تحريض القارئ على اتخاذ موقف ما من تلك القضايا، موظفا معرفته الفلسفية والفنية والدينية، وكل ما من شأنه أن يخدم هذا الجانب الدعائي التحريضي، بغض النظر عن الحبكة القصصية الضعيفة، والحوار الفلسفي الجاف الذي لا يعكس طبيعة الشخصيات القصصية، بقدر ما يعكس وجهة نظر المؤلف ورأيه الخاص وثقافته وتوجهه.

أما دوافع تقديم المؤلف لسيرة شاملة بميثاق سيري واضح، كما يعكسه العنوان في (سيرة حياتي)، فإن المؤلف قد كتبها بعد رحلة حافلة بالإنجاز، لا يعرف الكثيرون

عنها شيئا باستثناء النخبة المثقفة، وبعد تجارب إنسانية واجتماعية عديدة، فرضت عليه العيش في عزلة شبه تامة، وغربة متواصلة استمرت سنوات طويلة، كان لا يزور الوطن خلالها إلا لماما، دون احتفاء رسمي من الدولة بواحد من أبرز أبنائها النابهين، هذا ناهيك عن الغربة النفسية التي يحملها بين جنبيه، بسبب تكوينه النفسي وبسبب اختلال منظومة القيم، واعتلاء الصغار وضعاف الموهبة على أكتاف الكبار وأصحاب المشروعات الفكرية الجادة، وتبدل كل شيء نحو الأسوأ. لذلك فقد كانت السيرة بمثابة الشهادة على العصر، قدم فيها المؤلف شهادة توثيقية مفصلة بأهم إنجازاته وأعماله، وتعريفا للقارئ بقدره ومكانته العلمية الكبيرة في المحافل الدولية المختلفة.

وقد دارت (سيرة حياتي) في مسارين متوازيين؛ المسار الأول: تمحور الحديث فيه حول الذات وتكوين المؤلف العلمي والفكري والنفسي، وصفاته الشخصية بصورة مفصلة لا تنقصها الصراحة والصدق، وتناول بالتحليل والنقد الأشخاص الذين شكلوا وعيه وتفكيره، سواء كان تأثيرهم إيجابيا أو سلبيا عليه. أما المسار الآخر: فهو أقرب شيء للتحليل السياسي والتاريخي والاجتماعي والفني، وقد يبدو للوهلة الأولى لقارئ السيرة أن هذا الجزء لا يدخل في حيز الكتابة السير ذاتية، وهو حديث يغطي مساحة كبيرة من السيرة، حيث يتحول المؤلف في هذا الجزء إلى باحث في التاريخ وعلم الاجتماع والفن والأدب والفلسفة والدين وغير ذلك من الموضوعات التي زخرت بها السيرة، ولعل هذا هو ما حدا بأحد الباحثين أن يقلل من قيمة هذا الجزء وأهميته بالنسبة لميثاق السيرة الذاتية، حيث يرى أن سلطة الذات قد تضاءلت في هذه السيرة إلى حد بعيد بسبب حشو المؤلف لهذه الجوانب المعلوماتية والتاريخية، ويرى أن المؤلف قد ذهب فيهذه السيرة مذهب الباحث الاجتماعي والشاهد على العصر وكاتب الرحلات، وقد أثقلت هذه الموضوعات وفقا لهذا الباحث السيرة الذاتية بمواضيع عامة، هي أقرب إلى التاريخ أو الفلسفة أو علم الإناسة منها إلى السيرة الذاتية[١٩].

وعلى الرغم من أن (سيرة حياتي) مكتظة بالفعل بالأحداث التاريخية، والمشاهدات والتحليلات الفنية واللغوية والسياسية، لكنها لم تخرج عن سلطة الذات ولم تكن غائبة عن رؤية الكاتب ووجهة نظره الخاصة شديدة الخصوصية؛ فحديثه في هذه الموضوعات هو حديث العالم المحلل للأحداث والمعايش لها، الذي لا ينقل عن المراجع ولا يتبنى وجهة نظر غيره أيا كانت وجاهتها وأهميتها، ولكنه يتخذ منها وسيلة لإظهار خلفيته المعرفية والفكرية، التي تظهر بصيرته وقدرته على تأمل الأشياء والأحداث والأشخاص. هذا مع ضرورة الأخذ في الاعتبار، بأن شكل الكتابة السيرية أمر متروك لتقدير الكاتب وطبيعة تجربته الإبداعية، وما يحب أن يقدمه للقارئ أو يحجبه عنه، فهو وحده من يستطيع اختيار الشكل المناسب والصيغة التي يكشف من خلالها عن الأحداث والمواقف الشخصية والعامة التي يريد لقارئه أن يطلع عليها، طالما أن محور هذه المواقف هو الذات، سواء كان ذلك في شكل مذكرات أو يوميات أو سيرة روائية أو ذكريات أو مشاهدات، وسواء ركزت السيرة على حياة المؤلف أو جزء منها.[٢٠]

وربما كان من أهم دوافع الدكتور بدوي للإطلالة على الناس بعد عزلة طويلة، من خلال هذه السيرة الضخمة؛ شعوره بالغبن الذي أصابه بسبب تجاهل المؤسسات الرسمية له، وإعراضها عنه وعن الإنتاج العلمي والفكري المتنوع الذي قدمه بدوي، بسبب آرائه الصريحة والحادة أحيانا، أو بسبب الغيرة مما أنجزه أحيانا أخرى؛ فعلى الرغم من النجاح الكبير الذي حققه من خلال مؤلفاته، التي بلغت نحو مائة وخمسين كتابا في مجالات الفلسفة والفكر المختلفة، ورحلاته الناجحة خارج البلاد وعمله بكبرى جامعات العالم، وحضوره للمؤتمرات العلمية المهمة في مشارق الأرض ومغاربها، ومن بينها المؤتمر العام للمستشرقين، لا يجد التقدير اللائق ولا الحفاوة التي يستحقها في وطنه، لذلك حرص الكاتب على تقديم نفسه للقارئ على هذا النحو، الذي يؤكد على فرادته وريادته ونبوغه، حتى وإن تجاهلته وسائل الإعلام وأشاحت بوجهها عنه.

لذلك نجده يذكر بكل فخر وتباه ما قاله عنه العلماء والمفكرون الكبار، من أمثال الدكتور(طه حسين) الذي قال عنه عقب مناقشته للدكتوراه: لأول مرة نشاهد فيلسوفا مصريا، وثناءه على الباحث وعلى منهجه وتحليله، ويذكر ثناء أستاذه (باول كراوس) عليه وقوله: إن الرسالة تجتاز القرون لتلحق بكبار الفلاسفة والمتكلمين في القرون الهجرية الأولى.[٢١]

وكانت (سيرة حياتي) فرصة حقيقية لتصفية حسابات المؤلف مع خصومه والحاقدين عليه، وأدعياء الفكر والثقافة الذين تبوأوا مكاناتهم عن غير جدارة واستحقاق؛ فنراه يؤرخ للأحداث والأشخاص وفق رؤيته الذاتية وتقييمه الشخصي، ولا يتورع عن كشف المستور وفضح المنافقين والوصوليين، ويقوم بتعرية العديد من رموز المجتمع، على اختلاف شرائحهم وطبقاتهم. وقد احتوت السيرة على أسماء الكثير من المفكرين والأدباء والسياسيين وعلماء الدين وأساتذة الجامعات، مصحوبة بمواقف مخزية لهؤلاء، وربما تخالف الصورة المستقرة في عقول كثير من القراء عنهم. وسوف نتحدث عن هذا الجانب عند دراستنا لصورة الآخر في هذه السيرة.

البناء السير ذاتي في هموم الشباب وسيرة حياتي:

(هموم الشباب) ليست سيرة ذاتية بالمعنى المتعارف عليه للسيرة، يتتبع فيها الكاتب تطور شخصيته من خلال تسليطه الضوء على نشأته وذكرياته وأهم المحطات في حياته، ولكنها سيرة قصصية يتناول فيها الكاتب فترة محددة من حياته ويقف عند تجربة معينة، بهدف دراسة الواقع المصري وتحليله وتشخيص أمراضه ومحاولة وضع الحلول الناجعة لتلك العلل. وهو ما يمكن إدراجه فيما يعرف بـ (صورة الذات)، حيث تتميز صورة الذات بأنها" صورة الحاضر لا الماضي، وأنها لا تتم في التدرج الزمني

بل يغلب عليها التداعي والتدرج المنطقي، وأنها لا تقدم عملا منجزا بل تبقى مفتوحة للزيادة على مستوى عدد العناصر في كل نقطة"[٢٢]

وتدور أحداث هذه السيرة الروائية داخل أحد البارات، وهو ما يمكن الكاتب من التعرف على الجوانب الخفية في حياة كثير من البشر، وقد اتخذ المؤلف من البناء القصصي للسيرة الذاتية مجرد قالب أو شكل نقل من خلاله أفكاره وآراءه، وإن لم يلتزم بجماليات الشكل القصصي. فقد خرج دور الراوي عن طبيعة الدور المنوط به في العمل الفني؛ وهو نقل الأحداث بحياد وموضوعية، وجاءت تعليقاته مباشرة وتتماهى مع صوت المؤلف ذاته.[٢٣]

وعلى الرغم من أن مؤلف (هموم الشباب) قد حاول نفي الصلة بينه وبين أحداث تلك السيرة، مدعيا بأنها تخص أحد أصدقائه، وأنه تركها لديه وأوصاه بنشرها بعد موته، فإن إشارات كثيرة تؤكد على أنها تخص الكاتب نفسه، حيث تتشابه الكثير من أحداث تلك السيرة مع حياة المؤلف. ومن ذلك: حديثه عن تجربته في ممارسة العمل السياسي وهو في مقتبل عمره، وتأثره الواضح بفكر الفيلسوف الألماني نيتشه وشخصيته، وسفره المتكرر لأوروبا وسرد الكثير من مشاهداته هناك، وأفكاره المعروفة التي لازمته طوال حياته وهي مبثوثة في كثير من كتبه، كحديثه السلبي عن كثير من أعلام السياسة والأدب واتهامه للكثير منهم بالعمالة لأجهزة المخابرات، وقد تكرر ذلك بشكل مفصل في (سيرة حياتي) للمؤلف.[٢٤]

ويبدو لي أن تجربة الراوي في (هموم الشباب) تكاد تتطابق مع تجربته السياسية في الواقع، من خلال انتمائه وتعاطفه الكبير مع حزب مصر الفتاة في مطلع شبابه، حيث جذبته شخصية أحمد حسين في بادئ الأمر بفصاحته ولباقته، ودعوته لبناء مصر قوية وذات شخصية مستقلة، لكنه اكتشف مع مرور الوقت أن شخصية أحمد حسين تتسم بالضعف وضيق الأفق والجمود والمراهقة السياسية، وهو ما حدا به لقطع

صلته بالحزب بشكل كامل عام ١٩٤٢م، خاصة بعد أن أرسل أحمد حسين رسالة من محبسه إلى رئيس وزراء مصر آنذاك مصطفى النحاس، يعلن فيها توبته عما قام به أعضاء حزبه ضد حزب الوفد، ويقول فيها إنه ما زال طفلا يحبو في عالم السياسة.[٢٥] وهي لا تختلف عن تجربة راوي هموم الشباب الذي بحث مع أصدقائه عن رجل سياسي محنك، لكي يقودهم ويوجههم في العمل من أجل تغيير العالم، لكنهم بعد التقائهم به يكتشفون ضعفه وتردده وميله للعزلة والانسحاب من الحياة.[٢٦]

كما أن التجربة العاطفية التي مر بها راوي هموم الشباب مع إحدى فتيات الليل، لا بغرض إقامة علاقة واقعية حقيقية معها، وإنما من أجل اكتشاف طبيعة المرأة، والوقوف على الأسباب والدوافع الحقيقية وراء امتهانها لهذه المهنة، تتشابه إلى حد كبير مع حياة المؤلف وما عرف عنه من عزوف عن المرأة سوى مغامرات قصيرة قص بعضها في (سيرة حياتي)، وربما جاءت في سياق مكمل للشكل السيري على ما يتضح لنا، ومن أبرز تلك الإشارات التي تؤكد على التطابق بين حياة المؤلف والراوي، وصف السرد للراوي بأنه كان يحيا في بطون الكتب وليس له وجود خارجها.[٢٧] وهو ما يتشابه مع حياة المؤلف. ولا شك أن حضور الراوي وارتفاع نبرة صوته وتعليقه الدائم على الأحداث، يؤكد على حضور الذات، ورغبة المؤلف في إبداء وجهة نظره الشخصية إزاء تلك المواقف.

ولهذه الأسباب رجح بعض الباحثين أن تكون (هموم الشباب) سيرة حقيقية، ووصفها بالسيرة/ الرواية التي تعبر عن حياة مثقف بين الكتب، وهي أقرب إلى حديث النفس في محاولة لتأسيس أدب فلسفي، وهو متأثر فيها بالأدب الوجودي وبشكل خاص بـ (طفولة رئيس) لجان بول سارتر.[٢٨]

وتشبه طريقة الراوي في تعامله مع الفتاة التي سعى لإقامة علاقة معها طريقة المحلل النفسي الذي يهتم بأدق التفاصيل، ويعطي المجال لمحدثه لكي يستطرد في

الحديث طلبا للاستشفاء والعلاج، وقد تجلى ذلك بوضوح في حرصه الشديد والمبالغ فيه على الحصول على مذكراتها ويومياتها، وأبدى رغبة كبيرة في الاطلاع عليها مهما كلفه الأمر. ويبدو البعد الفلسفي واضحا في هذه السيرة، حيث يكثر المؤلف من الاستشهاد بأقوال الفلاسفة وعلماء النفس ومواقفهم، فهو يتحدث عن فكرة الصراع الدائم بين (الأنا الاجتماعي) و(الأنا الذاتي) وما ينتج عن ذلك من انقسام وازدواج في الشخصية، وقد اختار المؤلف تغليب (الأنا الاجتماعي) عندما يتعامل مع الناس، وترك الحبل على غاربه للأنا الذاتي عندما يخلو بنفسه.[٢٩]

ويؤدي الراوي في هذه السيرة دورا مزدوجا، فهو يجسد شخصية المؤلف الحقيقية كما ذكرنا ويتماهى معها، كما يعتمد السرد عليه في إمداد القارئ بالمعلومات والأخبار عن شخصيات الرواية وأحداثها، وهو من ثم أقرب إلى طبيعة الراوي العليم الذي يتدخل في الأحداث ويعقب عليها. وقد وصف السرد هذا الراوي بأنه شخص مثقف لكنه يعيش داخل الكتب، ومن ثم فهو عديم التجربة، يأخذ تجاربه وخبراته من أبطال القصص والأعمال الفنية، وهذا ما جعله مترددا في تصرفاته وفي عدم القدرة على اتخاذ قرارات مصيرية صحيحة "وكان تألمي يزداد لهذه الحال حين ينتهي الأصدقاء إلى ما في هذا المسلك من قضاء على شخصيتي، حينما يلمحون أنني لا أكاد أعبر عن أي شعور لدي، إلا مقرونا بفقرات طويلة لمؤلفين أعزاء لدي، أحفظها وأؤديها عن ظهر قلبي، تعينني على هذا ذاكرة جبارة، لعل فيها من الضرر أكبر مما فيها من الفائدة والغناء"[٣٠]

وكان الراوي – كما وصفه المؤلف – متأثرا ومتشبعا بأفكار الفلاسفة المثاليين من أمثال نيتشه واشبنجلر وهيدجر وغيرهم، فهو متردد بين عالم الروح وعالم الجسد، يحرص على حضور حفلات الرقص الماجنة، التي تهتم فيها الراقصات بإثارة الشهوات، وفي الوقت نفسه تراه مهموما بأمور الوطن والشباب، ويسعى من أجل

تغيير الواقع والثورة على الظلم والتخلف، وهو يتمتع بحس إنساني نبيل فنراه يظهر تأثرا وتعاطفا مع الطبقات المهمشة والمرضى، بل لعل استمرار علاقته بفتاة الليل رغم علمه بابتزازها له، كان بسبب تعاطفه مع مرضها ووضعها الاجتماعي المتردي" قلت لنفسي: لم لا يكن شهيدات لأهواء الرجال الآثمة، لم يستطعن رد غائلتها، لأن المجتمع لم يزودهن بأي سلاح يذدن به عن أعراضهن، فلا يلقين بها في تلك السوق الموفورة من جراح الإنسانية"[٣١]

وهو يلتمس لها من ثم العذر، ويحمل المجتمع المسؤولية عما وصلت إليه هي ومثيلاتها" وهل برئ أحدنا من العيب حتى ننحي عليها وحدها باللائمة، والأولى بنا أن نتجه بالتثريب إلى الدهر العاتي والصدفة المتحكمة في كل أمر من أمور حياتنا؟ وإن ما شعرت به من خيبة أمل، قد أشاع في نفسي نوعا من عدم الاكتراث وعدم التسرع في الإدانة، إلا إذا وقفت على الأسباب كلها: ظاهرها وخفيها"[٣٢]

لقد كانت هذه السيرة القصصية مجرد وسيلة اتخذها الكاتب، لينفذ من خلالها إلى العديد من القضايا الاجتماعية والسياسية بعمق الباحث وبعد نظر المفكر ورؤية الفنان؛ ومن تلك القضايا المهمة قضية التمييز ضد النساء، وفرض المجتمع القيود عليهن والانحياز للرجل والتماس العذر له، وقد كان هذا من أهم الأسباب التي دفعت فتاة الليل لخوض هذه التجربة، وامتهانها لهذه المهنة المهينة كما ذكرت الفتاة في مذكراتها؛ حيث دفعها التمرد والرغبة في الانتقام من الرجل والمجتمع الذكوري للقيام بهذه المغامرة وسلوك هذا المسلك، فلماذا يغتفر المجتمع للرجل زلاته ومغامراته، ولا يتسامح مع المرأة حين ترتكب قليلا من هفواته؟" وما دامت الطبيعتان متساويتين في هذا الصدد، لماذا يوزن بمعيارين مختلفين إلى هذا الحد؟ ألا شيئا من الإنصاف أيها الرجال، فاسمحوا لنا بما تسمحون به لأنفسكم ما دمنا في هذا الشأن سواء"[٣٣]

كما أشار المؤلف إلى التأثير السلبي لرفقة السوء، ودورهم الكبير في انحراف هؤلاء الفتيات، وتسلط الأفكار الانتقامية على عقول هؤلاء الفتيات، والتقليد الأعمى للأفكار الغربية المتطرفة، ومن ثم استساغة الكثيرات منهن لهذا المسلك المشين والاستمرار فيه، فقد كان من الأسباب الرئيسة التي أدت إلى انحراف (سرفناز) وصديقاتها، تأثرهن بإحدى بنات الهوى التي تعرفت عليها الفتاة من خلال إحدى الصديقات، حيث قامت بإغرائهن وغوايتهن بعد أن وعدتهن بالمال والمجد، وأوهمتهن بنبل الغاية من وراء ما يقمن به، حيث إنهن ينتقمن لأنفسهن من المجتمع، ويدفعن الظلم الواقع عليهن من الرجل بهذه الطريقة "وهل هناك شيء أنبل من أن ينتقم المرء لبني جنسه من هؤلاء الذين غرروا به ودفعوا به مغتبطين إلى مواطن الحتوف"[٣٤]

وكشفت الفتاة في مذكراتها عن أساليب بنات الهوى في الإيقاع بالرجال، وذلك من خلال الحيل والأكاذيب وتبادل كلمات الحب والغرام الزائفة، وقد اختارت الفتاة لهذا الغرض اسماً مستعاراً لها وهو "سرفناز" وكان اسما لجدتها ذات الأصول التركية، وراحت تعقد العديد من المقارنات بين الرجل الشرقي والرجل الغربي، من خلال معاملة كل منهما للنساء ونظرته لهن، كما تحدثت عن العديد من المغامرات التي قامت بها، ومنهاما ذكرته عن علاقتها بأحد الشباب السذج، الذي صدق كلامها المعسول وأخذ ينفق عليها ببذخ دون أن يظفر منها بشيء، وقد بدا من خلال الحوارات التي دارت بينها وبين رفيقاتها وسجلتها في مذكراتها، أنها كانت لا تزال تحتفظ بشيء من البراءة والنقاء على العكس من سائر بنات الهوى.

ولم تخل مذكرات الفتاة من البوح والاعتراف، حيث سجلت الفتاة ما حل بها من انتقام، وما ظلت تعانيه بسبب انحرافها وممارستها لهذا العمل المشين، فقد ظلت اللعنة تطارد هذه الفتاة بعد ما أصاب والدها من مرض أدى به إلى الموت، وما أصاب الأسرة من تلطيخ لسمعتها بسبب سوء سلوكها، ولم يخف شعورها بالذنب حتى بعد

مرور وقت طويل على وفاة الأب، فقد ظلت تذرف الدموع وتشعر بالحزن بسبب ما فعلته بأسرتها، وقد تحولت الرغبة في الانتقام لديها مع الوقت إلى استجداء بالعرض والشرف، كي تتمكن من إعالة أسرتها والإنفاق على إخوتها. ولم تكن الفتاة تثق بسهولة في أحد، وصارت شديدة المماطلة في مواعيدها الغرامية مع الرجال، من أجل المساومة على الحصول على أكبر قدر من المال، ولذلك ظلت تماطل الراوي حين طلب مذكراتها الشخصية لكي يطلع عليها، من أجل الحصول على مزيد من المال والهدايا، وحين قررت أن تدفع له بالمذكرات دفعتها له غير مكتملة، وكان هذا الجزء الذي قامت بحذفه يتضمن صفحات دامية ومثيرة، هي من أشد صفحات حياتها هولا وترويعا، حتى إن جراح تلك الذكريات وتأثيرها ظلت كما هي في القلب، إلى آخر ما ذكرت فتاة الهوى.[٣٥]

ويلاحظ على هموم الشباب بشكل عام قلة البوح وندرة الحديث الذاتي، حيث تحول المؤلف في كثير من الأحيان إلى مؤرخ أو ناقد أو محلل نفسي، كل دوره هو رصد الظواهر السلبية في المجتمع، والقيام بمقارنتها بما هو موجود لدى الغرب أو في الماضي، وهو ما يؤكد على أن اختياره للقالب السير ذاتي كان بهدف الوقوف على أهم مشكلات الواقع وتقديم الحلول الممكنة لها. ففي الصفحات من ١٣٢- ١٤٩، يتحدث المؤلف عن أهم هموم الشباب حديث الفيلسوف والمفكر، ويعقد مقارنة بين الشباب في مصر ونظرائهم في أوروبا، حيث يعاني الشباب المصري من العديد من المشكلات، وعلى رأسها تخلف مجتمعاتهم وجهلها، على العكس من الشباب في أوروبا الذين عركتهم الحروب وهيأتهم لمواجهة أصعب الظروف.

ولم ينس المؤلف وظيفته وعمله الأكاديمي، فأخذ يعدد بعض هموم الشباب، ومنها أو من أهمها:

- تضاؤل أثر التراث الروحي والمادي، فلم يبق منه سوى رموز وعادات زائفة.

– عدم وجود رموز سياسية ودينية كما هو الحال لدى الغرب، وقد ساعد ذلك على إشاعة روح الهزيمة والضعف، لأن القدوة الصالحة غير موجودة .

– الصراع الدائم بين القديم والحديث، والانبهار بتجارب الآخرين مع عدم القدرة على مجاراتها.[٣٦]

– أننا أخذنا من الغرب القشور والأمور الهامشية وتركنا ما هو جوهري وعميق؛ ففي مجال السياسة تركنا أفكار الثورة الفرنسية للشيوخ ليكتفوا بمجرد الأقوال وترديد النغمات البالية، كذلك من الناحية الاقتصادية أخذنا بالجانب المتطرف الذي يحيل الإنسان إلى معدة فحسب.

– وفي الاجتماع، تركنا فكرة تحرير المرأة كشيء فرغنا من أمره، ولجأنا إلى المذاهب المتطرفة التي تعلي من شأن الجنس والغريزة الجنسية لدى فرويد وهربرت بورنس وألدوس هكسلي.

– ويرجع المؤلف اهتمام جيله وحفاوته بالمدرسة الرومانسية، إلى تقصير الشيوخ في عرض وتقديم الكلاسيكية بصورة صحيحة. وكان من نتيجة ذلك اتجاه البعض إلى الرمز والمذاهب المتطرفة الأخرى كالسيريالية" ثم غلوا فمضوا وراء تمويهات النزعة فوق الواقعية (السيرياليزم) في صورها المتعددة من داداتزم وكيوبزم وفوتورسمو، واتخذوا لأنفسهم ملاهي خاصة على غرار " كباريه فولتير"[٣٧]وبذلك تكون (هموم الشباب) سيرة للأحداث والتحولات الاجتماعية المهمة في حياة الوطن، أكثر منها سيرة ذاتية يترجم فيها المؤلف لنفسه.

ولا تخلو (هموم الشباب) بطبيعة الحال من بعض اللمحات والمواقف الذاتية والشخصية من حياة المؤلف التي تعكس أفكاره ومعتقداته، لكنها قليلة بالقياس إلى الجانب التحليلي والنقدي الذي يقوم من خلاله بكشف العيوب والتشوهات الاجتماعية.

يقول المؤلف:" عرفت الإيمان الملتهب حتى صرت جمرة تحترق بنار الحب الصوفي الإلهي، وعانيت الإلحاد العرم فلم تفلت من سيفه البتار عقيدة ولا دين، حتى نعتني الناس حينا بالولاية والقداسة، وحينا آخر بالكفر الأكبر؛ وكنت في كليهما مخلصا مندفعا، عنيفا، كعادتي دائما في كل شيء"[٣٨]. وبذلك يثبت المؤلف أن عمله الأساس في هذه السيرة الذاتية هو البحث والتحليل ورصد الظواهر والمقارنة بينها، ويصاحب ذلك أحيانا حديث المؤلف عن ذاته ومنهجه وتفكيره الشخصي.

أما (سيرة حياتي)، فقد كان الميثاق السير ذاتي فيها واضحا من خلال العنوان، ومن خلال الأحداث التي تتمحور حول الذات، على العكس مما هو في هموم الشباب، وقد اختار المؤلف هذا الشكل المباشر من أشكال السيرة الذاتية، لتكون السيرة على هذا النحو شهادة على العصر، وتعبيرا صادقا عن تجربة المؤلف الممتدة والمليئة بالإنجاز. وتنقسم السيرة إلى جزئين كبيرين يبلغ كل منهما نحو ٣٨٠ صفحة، يحتوي كل جزء على عدد كبير من الموضوعات والأحداث، رتبها المؤلف ترتيبا تاريخيا، فبدأ في الجزء الأول بوصف البيئة التي نشأ، فيها وأهم ما يميز قريته وأهلها واللهجة الخاصة بهم، وتحدث عن الأب ومكانته ونفوذه بين أهل القرية، ثم أتبع ذلك بالحديث عن طفولته وتعليمه الأولي في المرحلة الابتدائية فالثانوية وبداية حبه للفلسفة والتحاقه بكلية الآداب، وسفره المتكرر إلى أوربا وتقييمه لهذه الرحلات، وأصداء الأحداث السياسية في تلك البلدان التي زارها، خاصة أن زياراته تلك كانت مبكرة، حيث عاصرت الحرب العالمية الثانية، ومن ثم كان حديثه المفصل عن النازية والفاشية وغيرهما من التيارات السياسية والفنية والأدبية. ثم يروي تفاصيل حصوله على الليسانس وتعيينه معيدا، ونشاطه السياسي المبكر من خلال انتمائه لحزب مصر الفتاة، وبداية إنتاجه العلمي الذي بدأ مبكرا جدا حتى بلغ مائة وعشرين كتابا حتى وقت كتابة هذه السيرة كما ذكر المؤلف.[٣٩] ثم يتحدث عن سفره المتكرر إلى العديد من البلدان، ومنها سفره للبنان وعمله بالمدرسة العليا للآداب عام ١٩٤٧م، وحصوله

على الدكتوراه ومذهبه الوجودي، ثم رحلته إلى باريس وحضوره المؤتمرات والمناقشات العلمية، وتردده على المكتبة الوطنية للاطلاع على المخطوطات هناك، ثم سفره إلى سويسرا وإيطاليا، وانتقاله للعمل بجامعة عين شمس، ثم عمله مستشارا ثقافيا ورئيسا للبعثة التعليمية في سويسرا، ويختتم الجزء الأول من السيرة بالحديث عن عمله في لجنة الدستور عام ١٩٥٢م، والمفاضلة بين النظام الرئاسي والبرلماني، والأجواء المحتقنة في الجامعة من عام ١٩٦٠ حتى ١٩٦٦ التي جعلته يقرر الهجرة والرحيل عن مصر.

وخصص المؤلف الجزء الثاني من السيرة للحديث عن هجرته ورحيله عن الوطن، بعد أن استحال بقاؤه في مصر بسبب فساد الأجواء داخل الجامعة في حقبة الستينيات، وعمله في جامعة السوربون بعد أن وجهت الجامعة دعوة لإحدى الشخصيات المصرية المتميزة، ففاز بها من بين تسعة عشر متقدما لهذه الوظيفة، ثم تحدث عن الأوضاع السياسية في فرنسا، وموقف الأحزاب المختلفة في فرنسا من حرب ١٩٦٧م، ونشاطه المختلف في باريس، وزياراته للمتاحف والحدائق ومحاضراته العامة في جامعة السوربون وفي الكوليج دي فرانس، ثم تحدث عن عمله في جامعة بنغازي بليبيا حيث عمل أستاذا للفلسفة ثم رئيسا للقسم في الفترة ما بين ١٩٦٧م وحتى ١٩٧٣م، وقدم دراسات مستفيضة عميقة تتعلق بتاريخ ليبيا منذ الفتح العربي والإسلامي لها، وتعرضه للاعتقال في هذا البلد بعد ثورة الفاتح وسعي الحكومة المصرية لإطلاق سراحه، وحاول تقديم تفسير لفقر ليبيا الشديد في مجال العلم والإبداع والثقافة على مر التاريخ، ثم تحدث عن رحلاته وقضاء العطلات الصيفية بالعواصم الأوربية المهمة، وزيارته للولايات المتحدة الأمريكية لإلقاء بحث في جامعة هارفارد، ثم زيارته القصيرة لمصر والتقائه بزملائه في قسم الفلسفة خارج الجامعة، وطلبهم منه الرجوع لرئاسة القسم وتولي شئونه، ثم يختتم هذا الجزء بحديث مطول عن زيارته لإيران، والمشاركة في بعض الندوات والمؤتمرات العلمية، قبل أن يتفرغ للتدريس

في إحدى الجامعات الخاصة بها لمدة عام جامعي، قبل أن ينتقل للعمل في جامعة الكويت، التي خلت السيرة من أية إشارة تذكر لتلك الفترة من حياته، كما هو الحال مع كل سفرة أو زيارة قام بها.

والملاحظ على بناء تلك السيرة، أن المؤلف لا يكتفي برواية الأحداث وسردها كما حدثت، وإنما يقوم بتحليلها وتفسيرها والتعليق عليها، حديث العالم والفيلسوف والمؤرخ، بعد أن وصل لهذه الدرجة من النضج والتفكير. فعندما يتحدث مثلا عن تعلقه بالأرض الزراعية، وحبه الشديد لها عندما كان طفلا، يتبع ذلك بذكر رأيه في الزراعة، وما ارتبط بها من نبالة وصفات عظيمة، تجعلها مقدمة على غيرها من المهن في رأيه "ومن هنا ارتبطت النبالة بالأرض الزراعية في كل تاريخ بني الإنسان، ولم ترتبط أبدا بالمتاجر ولا بالمصانع. ولا نقصد بالنبالة هنا نظاما اجتماعيا وسياسيا معينا، بل نقصد نبالة الإنسان بما هو إنسان"[٤٠]

وقد تناول المؤلف العديد من الأحداث والمواقف ذات الصلة المباشرة بالميثاق السير ذاتي، التي تدور حول حياته وما يتعلق بها من أحداث بصورة مباشرة، وأخرى تبدو بعيدة عن الميثاق السير ذاتي وتدخل ضمن الروايات والأحداث التاريخية والمعلوماتية، مثل حديثه التفصيلي والموثق عن المدن والأماكن التي زارها، والجامعات والمؤتمرات التي شارك فيها، وتقييمه لها وللعاملين بها ولمناهجها، وهو جزء كبير ويشكل مادة علمية وتاريخية غزيرة وعظيمة القيمة، ورغم أن هذا الجزء قد يبدو بعيد الصلة عن طبيعة السرد السير ذاتي، لكن المؤلف لم يذكر هذه المعلومات بمعزل عن تجربته الشخصية، فهي تجيء عادة ممتزجة بحديثه عن موقف شخصي، أو من خلال موقف كان هو أحد أطرافه.

فحديثه المفصل والتوثيقي عن مدينة فارسكور على سبيل المثال، ونفيه لما يتناقله الناس عن معركة تعرف بمعركة فارسكور، انتصر فيها أهل دمياط على لويس

التاسع، لم يكن حشوا أو حديثا منبت الصلة عن الجانب الحكائي والسيري، فقد جاء عقب حديثه عن فترة مهمة من حياته قضاها في مدارسها، وعايش فيها أهلها، ولم يكن مرتاحا بشكل عام لتلك المدينة ولا لطباع أهلها وعاداتهم، ومن ثم جاء حديثه المفصل عن مدينة فارسكور متمما ومساندا للجانب السردي، ويعكس حقيقة مشاعره تجاه هذه المدينة من خلال تلك التعليقات وغيرها" ولم يكن ثم مجال إذن لوقوع أية معركة بين جيش لويس التاسع وجيش توران شاه الذي عسكر في فارسكور. إن المعركة الوحيدة في هذه الحملة الصليبية السابقة هي معركة المنصورة فقط. وأنا لم أجد في أي مصدر تاريخي ذكرا لما يزعم أنه معركة فارسكور"[٤١]

ويتكرر هذا الأمر على امتداد السيرة، حيث يتحدث المؤلف بالتفصيل عن كل مدينة أوربية وغير أوربية، قام بزيارتها للتدريس فيها أو لحضور مؤتمر علمي أو للسياحة، حديث العالم والفنان والفيلسوف بعد سرده لجوانب ذاتية ومواقف شخصية استدعت بدورها الحديث عن تلك الأماكن، وهي شهادات ووثائق تكتسب أهميتها من كونها تعبر عن وجهة نظر مؤلف كبير بحجم الدكتور بدوي، وتظهر لنا الخلفية الثقافية والمعرفية التي جعلته على هذا النحو وهذا التكوين، فهو يتحدث عن أول زيارة قام بها لأثينا عام ١٩٣٧م، حين وقف على الأكروبول، وقد وظف هذا الوصف ليعكس ثقافته وسعة اطلاعه، ويقارن بين ما قرأه وما اطلع عليه من خلال الكتب وما يشاهده ويراه رأي العين في تلك الأماكن "وقفت على الأكروبول أمام معبد البارثنون، ورحت أطوف بنظري في المسرح الكبير المقام إلى جوار هذا المعبد. واستعدت في ذاكرتي "الصلاة على الأكروبول" لرينان، وكنت أكاد أحفظها كلها عن ظهر قلب منذ أن قرأتها في "ذكريات الطفولة والشباب" لرينان، وكان هذا الكتاب من أحب الكتب إلى نفسي، وقد قرأته في سنة ١٩٣٥، وأعدت قراءته عدة مرات بعد ذلك لجمال أسلوب رينان. ورحت أقارن بين صلاة رينان على الأكروبول، وبين ما أشاهده أمامي فامتلأت نفسي خيبة أمل: فليس فيما أراه ما يوحي بأي حرف مما قاله رينان، مع أن

الأكروبول كما شاهدته هو بعينه على الحال التي كان عليها عندما شاهده رينان قبل سبعين سنة"[٤٢]

وجاءت كثير من هذه المشاهدات على شكل صور ولوحات فنية، لم يعتمد المؤلف فيها على النقل من المراجع أو ترديد كلام غيره من الباحثين، وهو ما أضفى على السيرة أبعادا شعرية وحسا إنسانيا عميقا، كشف لنا عن طبيعة المؤلف وحقيقة مشاعره، وثقافته الواسعة وانفعاله بتلك المشاهدات" وهكذا لم أقض في روما غير ستة أيام، كنت في أثنائها في شبه ذهول، بسبب هذه الروائع الفنية العديدة التي شاهدتها في روما. إن هذا الفيض الوافر من الانطباعات، قد هز كياني كله هزا عنيفا حتى كدت أنهار تحت وطأته. نعم، كنت قد قرأت الكثير قبل ذلك عن عصر النهضة في إيطاليا، وكان كتاب "الحضارة في عصر النهضة" تأليف يعقوب يوركهرت رفيقي طوال شهرين، ولم أسمع باسم فنان: مصور أو نحات أو معمار وأنا في روما، لم أكن سمعت به، بل وعرفت نبذة عن حياته وأعماله من قبل. لكن فارق هائل جدا بين أن تكون قد عرفت هذه الأسماء بالقراءة، وأن تشهد أعمالها الفنية ماثلة أمام عينيك. وكانت هذه الانطباعات من الوفرة والقوة، بحيث لم تدع لي أية فرصة لتبين مشاعري وتمييز أحكامي عليها"[٤٣]

وإلى جانب تلك المشاهدات ووصفه للعديد من المدن والأماكن التي زارها، تزخر السيرة بسرد العديد من الأحداث التاريخية والوثائقية المتعلقة بتلك الأماكن التي زارها، وهي تعكس عمق رؤية المؤلف وتحليله الدقيق للأحداث، وتظهر أيديولوجيته بوضوح إزاء العديد من القضايا. ويمكن الوقوف على ذلك من خلال الرجوع إلى السيرة نفسها، ومن ذلك على سبيل المثال ما ذكره المؤلف عن اضطهاد النازية لليهود، حيث ينفي تلك المزاعم والمبالغات المصاحبة لها ويرى أن "حملات النازية على اليهود كانت جزءا من حملات النازية على من كانوا خصوم النازية في الفترة السابقة على توليها

الحكم في ١٩٣٠/١/٣٠. فكانت إذن عملا سياسيا محضا لا تفرق فيه بين يهودي وغير يهودي"[٤٤] ويرى أن اليهود كانوا سببا مباشرا في كسب عداوة الشعب الألماني، بسبب سلسلة الفضائح والإفلاسات التي كانوا متورطين فيها.[٤٥] كما يمكن الرجوع إلى تفسيره الخاص وتحليله للموقف الروسي من حرب يونيو عام ١٩٦٧م، حيث يرى المؤلف أن الاتحاد السوفييتي كان على علم بميزان القوى الحقيقي بين مصر وإسرائيل، وقدرة إسرائيل من ثم على حسم الحرب لصالحها، ومع ذلك قامت روسيا بتحريض الجانب المصري على خوض الحرب رغم علمها بهزيمتها الحتمية، وذلك حتى تضمن روسيا اعتماد مصر التام عليها، وخضوعها الكلي لأوامرها والتحول السريع إلى دولة تابعة للاتحاد السوفييتي.[٤٦]

وتصلح هذه المشاهدات وهذا الجانب التاريخي والتوثيقي والسياسي والاجتماعي والأدبي، أن تكون كتابا قائما بذاته نظرا لغزارة المعلومات، كما أنها صادرة عن عالم موسوعي وفيلسوف كبير بحجم الدكتور عبد الرحمن بدوي.

صورة الذات والآخر في الدراسات النفسية:

منذ أن وعى الإنسان حقيقة وجوده في الحياة، وعلم أن قدره أن يعيش فيها ويتعامل مع الآخرين وفق قوانين محددة، وهو يقوم ببذل العديد من المحاولات لمعرفة ذاته والتعرف على شركائه في هذه الحياة. ولعل مقولة سقراط لأحد تلامذته: اعرف نفسك – على بساطتها – قد عملت على تحول مسار الإنسانية بأسرها؛ فتحول الإنسان من الاهتمام بالكون والأشياء الخارجية، إلى تسليط الضوء على نفسه من الداخل، وذلك لأن الوعي بالذات هو نقطة انطلاق نحو معرفة الذات بشكل أكثر عمقا.[٤٧]

ولا يعني النظر في الذات وتأملها، الانطواء والانكباب على النفس بطبيعة الحال. بل إن الذات هنا تصبح محورا أو بؤرة لصورة الكون وأشيائه، ويمتحن الإنسان من خلال النظر في ذاته علاقته بهذه الأشياء. وقد يدير نوعا من الحوار الثلاثي بين ذاته الناظرة وذاته المنظورة فيها وبين الأشياء.[٤٨]

ولا شك أن هناك العديد من المحاولات والدراسات، التي حاول أصحابها من خلالها معرفة الذات بصورة صحيحة معرفة واعية ودقيقة. وبعض هذه النظريات قد ربط أصحابها بين طبيعة الشخصية وصورة الذات وبين التكوين الجسماني للفرد.[٤٩]

يطلق مصطلح (الشخصية) على وحدة الحياة الروحية للفرد بإزاء المجموع أو بإزاء الكون جميعا، وتقتضي فكرة الشخصية بدورها فكرة الحرية، فلا وجود للشخصية بدون حرية. ولعل أبرز مظاهر إضعاف الشخصية أظهر ما يكون في حالتين: حالة إفناء الشخصية في روح كلية، وحالة إفناء الروح الفردية في الناس.[٥٠]

وقد ذهب الطبيب الفرنسي (كارل يونج) إلى أن علاقة الفرد بالعالم الخارجي يمكن أن تتم على طريقتين؛ في الأولى يتجه الإنسان إلى الخارج ونحو الآخرين، وفي هذه يسمى الشخص منبسطا. وفي الثانية تذهب الحركة بعيدة عن الناس لتتجه نحو الذات، وفي هذه الحالة يسمى الفرد منطويا. وتتركز اهتمامات الشخص المنبسط حول البيئة الخارجية، وهو يحب الوجود مع الآخرين وتكوين علاقات معهم، وتصدر قراراته وأفعاله على أساس العلاقات الموضوعية وليس على أساس القيم الذاتية. أما الشخص المنطوي فهو يحب العزلة، ويتجنب الاختلاط بالناس، وتحكمه عوامل ذاتية، وتتحكم في أفعاله أفكاره الخاصة والعوامل الذاتية أكثر مما توجهها عوامل موضوعية.[٥١]ولا يتسم تقسيم الناس على هذا النحو إلى منبسطين ومنطوين بالدقة، ومن ثم لم يرق لكثير من العلماء والباحثين، فهناك من الناس المنطوي والمنبسط ومن يتصف سلوكه تارة بالانبساط وتارة بالانطواء.

وتقدم (فرويد) خطوة في هذا المضمار، فقام بدراسة العديد من الحالات النفسية داخل عيادته، وقرر من خلال دراسة تلك الحالات، أن الشخصية تتألف من ثلاث قوى، هي: الأنا والأنا الأعلى والهو. ووظيفة الأنا الأعلى على الدوام الضغط أو الكبت، ووظيفة الهو على الدوام النزوع إلى المحرم، والأنا حائر بين الأنا الأعلى والهو، يعاني التوترات من جراء ضغطهما، والقوى الثلاث تعمل في مستويات ثلاثة: الشعور واللاشعور وما تحت الشعور.[٥٢]

وقد يكون كلام فرويد صحيحا داخل العيادات، أو حين يطبق على شريحة معينة من غير الأسوياء، لكنه غير قابل للتعميم والتطبيق على الأسوياء من البشر ولا على المبدعين كافة "فقد تضخمت لدى فرويد علائم المرض، ولم ير في الحياة الفردية والاجتماعية سوى مظاهر مختلفة له؛ فالفرد في كبت دائم، وكل أفعاله ليست سوى ضروب من القلب أو التحويل أو التسامي أو ... إلخ، والمجتمع في كبت دائم، والحضارة في تقدمها ليست سوى زيادة في الكبت، حتى ليوشك المجتمع أن ينفجر أو ينتحر"[٥٣]

وعلى الرغم من تلك الانتقادات الواسعة، التي وجهت إلى نظرية فرويد وملاحظاته حول دراسة الشخصية، خاصة حين أكد على أن القوة الدافعة لنمو الشخصية وتطورها، تكمن في الطاقة الجنسية والنشاط الجنسي، مهملا القوى الاجتماعية الأخرى والثقافة التي ينشأ عليها الفرد، فقد فتحت تحليلاته المجال أمام الباحثين لدراسة الشخصية البشرية بصورة أعمق.[٥٤]

ومن الدراسات المهمة التي حاول أصحابها دراسة أنماط الشخصية والسمات المميزة لها بشكل علمي، ما ذهب إليه (جوردن ألبورت)، حيث تحدث عن السمات المميزة للفرد وللشخصية، التي تدفع الفرد لهذا السلوك وهذا التوجه بالذات، فقد ميز ألبورت بين نوعين من السمات: السمات العامة أو المشتركة، والسمات الفردية أو

الشخصية. ويرى ألبورت أن "السمة الفردية أو الشخصية هي عبارة عن بناء عصبي نفسي عام خاص بالفرد ويوجه سلوكه"[٥٥] وميز ألبورت في السمات الفردية بين كل من السمات الرئيسة والسمات المركزية والسمات الثانوية في الشخصية؛ فالسمات الرئيسة تكون على درجة عالية من الأهمية في سلوك الفرد، ويظهر تأثيرها في جميع أفعاله، أما السمات المركزية فهي السمات الأكثر تمييزا وإظهارا للشخصية، وهي سمات ثابتة في الشخصية وتكون محدودة.[٥٦]

ويعد (كارل روجرز) من أهم الباحثين في نظريات الذات؛ والمفهوم الرئيس والأساس الذي تقوم عليه الشخصية عنده هو الخبرة، ومن مجموعة خبرات الفرد وإدراكاته لنفسه وتقييمه لها، يتكون مفهوم الذات لديه. ويتكون مفهوم الذات من خلال التفاعل المستمر، بين الفرد وبين البيئة المحيطة به. "ويذهب كارل روجرز إلى أن فكرتنا عن ذاتنا هي التي تحدد نوع شخصيتنا، وهي التي تحدد كيفية إدراكنا لبيئتنا، وكيفية تعاملنا معها، وأن معظم أساليب سلوكنا تكون متسقة مع مفهومنا عن ذاتنا."[٥٧]

ويرى كارل روجرز أن الفرد يقابل في حياته كثيرا من الخبرات الجديدة، وهو يحاول دائما أن يضمها إلى ذاته في علاقات ثابتة ومنسقة ومنظمة. فإذا كانت هذه الخبرات لا تتلاءم مع ذاته، فإنه يحاول إما إغفالها وإما تشويهها. وإن كل خبرة لا تتفق مع فكرة الفرد عن ذاته، تعتبر في نظر الفرد تهديدا لذاته، وكلما كانت خبرات الفرد متلائمة ومتفقة مع فكرته عن ذاته كان متوافقا، أما إذا أنكر الفرد الشعور ببعض خبراته الهامة أو قام بتشويه كثير من هذه الخبرات، فإنه يشعر بالقلق والاضطراب النفسي.[٥٨]

على أنه يجب أن نلاحظ أن الخبرات والمشاعر التي يتم كبتها، سواء عن طريق إغفالها أو تشويهها، لا تخمد ولا تموت، ولكنها تظهر في مستوى اللاشعور، عن طريق الأحلام والأفعال اللاإرادية والأمراض النفسية، وكذلك في الإبداع الفني. ولا

شك أن هذه الخبرات المكتسبة من البيئة المحيطة ومن خلال التفاعل مع الآخرين تساعد الإنسان على تحقيق ذاته وإثبات شخصيته، ومن المعروف "أن المعنى الحقيقي لمفهوم تحقيق الذات هو المفهوم المركزي في الاتجاه الإنساني، والمنظور الدافعي للإبداع يكمن في محاولة الإنسان اكتشاف ذاته الحقيقية، والتعبير عنها وتطويرها"[٥٩]

إن الذات هي الجزء النامي والأكثر تطورا وإبداعا من الأنا الواعية للشخصية، كما يرى العديد من علماء النفس والفلاسفة، "فالذات عند يونج مثلا هي الاندماج المتمايز الأكثر اكتمالا وامتلاء وتناسقا لكافة جوانب الشخصية الإنسانية الكلية"[٦٠]وقد أظهرت الدراسات أن المبدع يتسم بالاستقلالية والانطوائية وعدم الانصياع للمعايير الاجتماعية المتعارف عليها، كما يكون غير تقليدي في تفكيره أكثر من غيره من الأفراد، ويظهر المبدعون كذلك قدرا أقل من ميكانزمات الدفاع، كالكبت والنكوص المرضي .... ويتسم المبدعون كذلك بالحساسية وقوة الأنا، مع إحساسات وأفكار حدسية وواقعية قوية"[٦١]

فالذات في نظرية يونج هي نمط أولي، أو نموذج بدائي من بين أنماط كثيرة، وتدل هذه الذات على ذلك الكل المتكامل الذي يوحد بين العقل الشعوري والعقل اللاشعوري للشخص، وتتحقق الذات نتيجة لعملية التفرد، تلك العملية الدينامية التي تسعى دوما إلى إنجاز التكامل والتميز في الشخصية. في حين أن "الأنا" دائرة صغيرة داخل الدائرة الكبرى الخاصة بالذات، الأنا تتعلق بالماضي والحاضر، في حين تتعلق الذات بالماضي والحاضر والمستقبل. هكذا تطمح الأنا وتسعى إلى أن تكون الذات، لكنها تظل دائما جزءا منها، وجانبا من جوانبها المتعددة. وتتسم الذات لدى يونج كذلك بالاستقلال الذاتي، أي أنها تكون موجودة خارج الزمان والمكان، وهي مصدر الأحلام، وتظهر كقوة أو كشخصية ذات سلطة ما في الأحلام، وتوجه الفرد في حاضره، وقد تتنبأ بالمستقبل أيضا.[٦٢]

إن الذات إذن هي الشخص المفرد من منظوره الخاص، الذات هي أنت، التي هي بالنسبة إلى الآخرين: ذلك الشخص الذي يتسم بكذا وكذا من الصفات، وقد يكون إدراك الشخص لذاته قريبا من الصورة الواقعية له التي يدركه الآخرون عليها، وقد يكون هذا الإدراك مختلفا بالسلب (ومن ثم هيمنة المشاعر السلبية كالنقص والاضطهاد عليه)، أو الإيجاب (ومن ثم هيمنة أفكار العظمة والتفوق والنبوغ عليه)، وقد تحدث تصادمات بين الصورة المثالية والصورة الواقعية للذات، ومن ثم تكون عمليات الانقسام والازدواج والاضطراب"[٦٣]

وإذا كان الاعتقاد الشائع لدى البعض، هو أن الوعي بالذات يتشكل في مرحلة متأخرة من العمر، فإن (لاكان) يرى أن وعي الإنسان بذاته وبالآخر، يتشكل منذ الطفولة عبر ثلاث مراحل؛ المرحلة الأولى: وقد أطلق عليها مرحلة ما قبل المرآة، وتكون منذ الميلاد وحتى الشهر السادس تقريبا، وفي هذه المرحلة لا تتوافر لدى الطفل هوية أو إحساس بالذات بطبيعة الحال. والمرحلة الثانية: وأطلق عليها مرحلة المرآة، وتكون ما بين الشهر السادس وحتى الشهر الثامن عشر تقريبا، وهي مرحلة نرجسية، ينشأ خلالها الجدل وتصور العلاقة والتفاعل بين الذات والآخر في المستقبل، وتكون صورة الفرد في المرآة هي الإرهاص المبكر بالأنا، ومن خلال هذه الأنا البدائية تنشأ جذور ذلك الصراع الجدلي الأولي بين "أنا فعلية" و"أنا مثالية" وبين الذات والآخر في مراحل تالية من العمر. يقول ليفيناس: إن الذات الإنسانية إنما تتحدد في ضوء توقها الدائم إلى الآخر، وتكون هذه المرحلة مرحلة متعلقة بالتعرف وبسوء التعرف أيضا، حيث يكتشف الطفل ذاته عبر الآخر في المرآة أيضا، وتكون البدايات الأولى لتشكل الذات، تلك الهوية التي سيجري تكوينها من خلال تلك الآليات الخاصة باللاشعور والرغبة واللغة وعبر العمر. أما المرحلة الثالثة، فهي مرحلة ما بعد المرآة، ويحدث فيها الانتقال من النرجسية إلى مرحلة الموضوع أو التعلق بالموضوعات، ويرتبط ذلك بحدوث فقدان أو خسارة ما، مثل فقدان الاهتمام من جانب

الأم، أو مواجهة عالم يحبط الكثير من الرغبات، التي يريدها الطفل لكنه لا يستطيع أن يشبعها، عندئذ يلجأ الفرد إلى خلق بدائل، يحقق من خلالها بعض التوازن لذاته.[٦٤]

ولا يخفى على أحد حضور المقارنات الدائمة بين الذات والآخر، بين ما يملكه الفرد من سمات وخصائص وما يملكه الآخرون من مقومات سلبية وإيجابية، فقد جبل الإنسان على النظر إلى تجربته وصفاته في ضوء ما لدى الآخر من تجارب وسمات، وإن كان الأديب يسعى إلى الاستقلال بذاته وتعرف تلك الذات من خلال ذاته هو وليس من خلال ذوات الآخرين، كما أن الصوة التي تظهر أمامنا للذات ليست دائما صادقة، فهناك صورة السطح وصورة العمق، وهو ما يحتاج إلى مجهود كبير لمعرفتها وسبر أغوارها.

صورة الذات في هموم الشباب وسيرة حياتي:

أولى تجليات معرفة الإنسان لذاته، هي مواجهته لهذه الذات، والاعتراف بالنقص والقصور الموجود فيها، بدلا من الهروب والانسحاب وإلقاء اللوم على الآخرين. وفي (هموم الشباب) بوصفها سيرة روائية، وظفها المؤلف بالأساس لتقديم فكرته الفلسفية عن الذات والآخر، وتعرية الواقع الاجتماعي في مصر، يواجه الراوي قارئ سيرته بأول اعتراف يقر فيه بأبرز عيوبه ونقائصه، حيث يقر بفشله في التكيف مع المجتمع والعجز عن التعامل مع الآخر، وعدم قدرته على أن يعيش حياة اجتماعية طبيعية مثل باقي البشر، وبدلا من التخلص من هذا العيب، استعاض الراوي عن ذلك بالحياة بين الكتب، فإن شعر بنزعة إلى المغامرة عكف على شعر الصعاليك، وإن هفت نفسه إلى نشدان السلوى في فردوس الكروم عكف على خمريات أبي نواس ورباعيات الخيام، وإن طلب المخاطرة في ميدان الحب تنقل بين عشيقات جيته، وإذا ألح عليه نداء الجنس تنسم ذلك في مقطوعات سافو وبيير لويس وكتب ديفيد هربرت لورنس.[٦٥]

ولا شك أن الحياة بين الأوراق والكتب، تختلف عن الحياة بين الناس في الواقع، فالأولى تمنحك المعرفة والعلم والثقافة، بينما تعطيك الثانية الخبرة والثقة بالنفس والاعتماد على الذات، والاستفادة من الأخطاء وإمكانية تصويبها. ولعل هذا هو ما دفع الراوي/ المؤلف إلى إقامة علاقة غير مكتملة مع فتاة ليل؛ علاقة أقرب إلى علاقته بالكتب والأوراق، تقف عند حدود إمداده بالمعرفة والمعلومات عن طبيعة هذه الفئة المهمشة، التي تمارس حياتها داخل أقبية وسط أجواء من الصخب واللهو، في ظل جهل الكثيرين بها وعدم إحاطتهم بتفاصيلها.

إن حياة المؤلف بين الكتب قد انعكست عليه بشكل سلبي للغاية، فقد استمد قيمه وخبراته كلها من خلال قراءته عن الآخرين، فأصبحت أفكاره مشوشة وآراؤه ووجهة نظره غير مستقلة وليست نابعة من داخله. ولذلك لم تنجح تجربة الراوي مع تلك الفتاة، فقد استغلت سذاجته وقلة خبرته، وحصلت على الكثير من المال والهدايا، مقابل منحه مذكراتها الشخصية، لكنها لم تف له بذلك، وإنما أعطته المذكرات بعد مماطلة وتسويف، حصلت خلالها على الكثير من المال، كما أنها حجبت عنه الجزء الأهم من تلك المذكرات الذي يتضمن أهم مغامراتها، وفي الوقت نفسه قامت باستدراجه والتجسس عليه وعلى أصدقائه لمصلحة أحد الضباط الإنجليز، الذي كانت تلتقيه في الملهى الليلي مقابل حصولها على المال منه، وقد أبلغت عنهم بأنهم يعقدون لقاءات يخططون فيها لقلب النظام، فدخل بعضهم السجن وانتحر بعضهم واعتلت صحة بعضهم حتى أشرف على الموت.[٦٦] وهذه الضريبة الفادحة دفعها الراوي بسبب هذا العيب الخطير الذي أشار هو إليه، وهو عزلته وانطواؤه وحياته بين الكتب، وعدم قدرته أن يحيا حياة طبيعية.

ويقدم الراوي صورة عميقة للذات، يكشف من خلالها عما بداخله وجوانيته، ولا يقف عند الجوانب الشكلية والسطحية، فهو يعيش في صراع دائم، ويعاني من الانشطار والتمزق بين الأنا الاجتماعي والأنا الذاتي، حيث يحتدم الصراع بداخله بين

القيم الاجتماعية والموروثات والمثل التي تواضع الناس عليها، وبين رغبته في الاستقلال بذاته وفعل ما يريد دون قيود أو ضوابط. وقد حسم الراوي الصراع بتغليب الأنا الاجتماعي في أفعاله، وترك الحبل على غاربه للأنا الذاتي حين يخلو بنفسه وينفصل عن الواقع، ولا شك أن مثل هذا الصراع وهذه الازدواجية، قد نتج عنهما معاناة حقيقية، وتناقض واضح، واتسمت معظم تصرفاته بالتردد "وعلى نحو من هذا الحوار، كانت الدوامة تتردد في أعماق نفسي كل آن، فكان القلق الحال السائدة في أطواري. لكني أصارحك بأنني غلبت في أفعالي ذلك الأنا الاجتماعي، ولم أترك السيادة للأنا الذاتي، إلا في داخل ميدانه الخاص، أعني عندما أخلو إلى نفسي، وأخلع حياتي الواقعية جانبا"[٦٧]

وقد ظلت هذه الصفات ملازمة للراوي/ المؤلف؛ فهو شديد التردد خاصة في علاقاته النسائية، وقد تسبب ذلك في إفلات العديد من الفرائس من يده.[٦٨] وهو شديد الخجل، وقد ظهر ذلك جليا من خلال حواراته وردود أفعاله مع فتاة الليل، وعدم قدرته على مجاراتها أو الظهور معها أمام الناس.[٦٩] وهو شديد السلبية، يقول عن نفسه" كنت سلبيا، قابلا لا فاعلا، إلى أبعد حد"[٧٠] وهو واضح التناقض، حيث نراه شديد التعلق بجسد المرأة ويتغزل بمفاتنها،[٧١] وفي الوقت نفسه لا يسعى بشكل إيجابي لإقامة علاقة كاملة وواقعية مع فتاة الليل، وحتى بعد أن اكتشف خيانة الفتاة وغدرها لم يسع لإدانتها أو الانتقام منها، بل راح يبرر لها ما فعلته ويلتمس لها الأعذار.[٧٢] ومن صور التناقض في شخصية الراوي، ما وصف به نفسه أنه كان شديد الإيمان وعانى في الوقت ذاته من الإلحاد العرم. وآمن بالأرستقراطية وهفت نفسه إلى المساواة، وجمع بين القسوة والرحمة والرقة، وحلم بالزمن القديم وبطولاته كما كان عصريا.[٧٣]

ويطلعنا الراوي على جانب مهم من شخصيته، وهذا الجانب هو تسامحه المطلق وتعاطفه مع الضعف البشري، فهو لا يقف عند عيوب الآخرين أو نقائصهم، خاصة

وأن الحياة بتقلباتها قد تدفع الإنسان إلى بعض الخيارات دون إرادة منه. فإذا كان المجتمع لا يلتمس العذر لهؤلاء الفتيات، ولا يتسامح مع العمل الذي يقمن به، فإن الراوي يتفهمه ويقبله ويضعه في سياقه وإطاره الصحيح، فالبشر جميعا غير مبرئين من الخطأ، وقد تدفع الظروف الإنسان وتجبره على اتخاذ قرارات لا يكون بالضرورة راضيا عنها، وحين نقارن سلوك هؤلاء العاهرات – على ما فيه – بسلوك بعض الساسة والتجار الجشعين والكتاب المنافقين، نجد أن سلوكهن أشرف بكثير من سلوك هؤلاء.[٧٤]

كما يميل الراوي بطبعه لكل ما هو غريب وشاذ، فهو يحب المغامرة واستكشاف المجهول وسبر أغوار النفس ومعرفة طواياها، ولعل هذا هو ما دفعه للقيام بهذه المغامرة من خلال إقامة علاقة مع فتاة الليل، بعد مروره بتجربة حب فاشلة عندما كان في أوربا، فقد كان دافعه الأساس لإقامة هذه العلاقة هو الوقوف على طبيعة النفس البشرية.

إن صورة الذات كما قدمها بدوي في (هموم الشباب) ليست صورة واحدة أو ثابتة، بل هي ذات لها صور متعددة ومتنوعة، وتتسم بالتغير والمراوغة وعدم الثبات، كما أن لها صورة سطحية ظاهرة لكل الناس، وصورة عميقة وباطنة تتجلى حين يخلو بنفسه وينعزل عن الواقع، وهو ما جعله يعيش في صراع من أجل إثبات ذاته وتفرده وحريته في مواجهة سطوة الثقافة الجمعية والتقاليد الاجتماعية، وقد اختار الراوي بذلك الحل التوافقي الذي أشرنا إليه من قبل.

ويقدم الراوي صورة الشباب المصري والذات المصرية على نحو سلبي؛ فالشباب المصري يفتقد إلى الهدف والرؤية والقدوة، وتنعدم نماذج البطولة والفروسية في تاريخه الحديث. ومن ثم كانوا فرائس سهلة طيعة لمطامع الآخرين، وكانوا مجرد قطع مهلهلة لا تصلح إلا لحشو الوسائد الدولية التي ستتربع عليها الدول الكبرى.[٧٥]

ومن أمارات افتقاد الشباب المصري للهدف والرؤية، تسليمه زمام أموره لجيل الشيوخ وسيرهم خلفهم في كل شيء، رغم أنهم – من وجهة نظر الراوي – هم المسؤولون وحدهم عن هذا التردي وهذا الفشل الذي تعيش فيه البلاد، بسبب الأثرة وحب الذات والاهتمام بالأمور السطحية والتافهة، وتقليدهم للغرب في كل شيء دون وعي. ولذلك عاش الشباب المصري، ومنهم الراوي/ المؤلف بطبيعة الحال، حالة من التغريب وفقدان الهوية وضعف الانتماء، على كافة المستويات وفي مختلف المجالات: السياسية والاجتماعية والدينية.[٧٦] غير أن الراوي يلتمس العذر لهؤلاء الشباب، فهم رغم تطلعاتهم وطموحاتهم وحماستهم لبناء وطنهم وإثبات أنفسهم، كانوا ضحية الأوضاع الضعيفة والمزرية في بلدانهم، التي حالت دون تحقيق آمالهم وتطلعاتهم، فلم تكن الأوطان في ذاك الوقت كما يقول الراوي سوبر" عبد تنافس في الاستيلاء عليه سيدان – أو بالأحرى قطعة من الجماد، يصطرع من أجل اقتنائها لصان"[٧٧]

ويصف الراوي الحياة في مصر بأنها متخلفة على كافة الأصعدة؛ في الموسيقى والفن والأدب والسياسة والاقتصاد، وأننا لم ننجح سوى في الخطب الرنانة والمواعظ الزائفة.[٧٨] كما تؤكد العمارة في مصر ومظاهر العمران المختلفة، على غياب التخطيط والعشوائية والفوضى والاضطراب في الشخصية المصرية، حيث تفتقد جميعها للذوق السليم والتناسق والانسجام مع طبيعة البيئة المصرية " فلم تبن على طراز واحد ولا متشابه، بل جاءت أخلاطا متنافرة من الطراز المصري القديم، والطراز الإيطالي ذي الأشكال الأسطوانية أو المستديرة، وبينها تنويعات مختلفة من الطراز العربي والطراز الفرنسي في القرنين السادس عشر والسابع عشر، والطراز الإنجليزي العتيق. وما هذا الخليط إلا تعبير عن روح الخلط التي تحيا بها مصر في هذا العصر المضطرب: فهي برج بابل اليوم في كل شيء: في الثقافة والسياسة والفن والصناعة والعادات والأزياء. فلا شخصية تكون المرجع على اختلاف المظاهر وتعددها، ولا مركز

للإشعاع تخرج عنه هذه الألوف العديدة من التعبير عن الذاتية، إنما هو العماء الذي يسبق الخلق، والخليط الذي يسبق التركيب العضوي"[٧٩]

وقد ذكر الراوي العديد من عيوب المجتمع المصري والشخصية المصرية كما يراها، ويعد النفاق والازدواجية في المعايير والكيل بمكيالين من أبرز تلك العيوب، حيث تطبق قوانين على الأنثى وتطبق غيرها على الرجل، وتطبق قوانين على الفئات المهمشة وتطبق غيرها على النخبة، وقد سبقت الإشارة لذلك.[٨٠]

ويصف الناس في مصر بالخمول والكسل والتقليد والجهل، على العكس من باقي شعوب العالم " فأما ههنا في مصر، فقد استسلمنا لطبيعة رخوة مريضة أشاعت في نفوسهم الطراوة والرخاوة، فغرقنا في أحلام سخية رخيصة أشبه ما تكون بتهاويل المخدرات، كما حرمنا من كل متعة بالجمال الإنساني، فكل ما يتصل بهذا الجمال مشوب بالنفاق والتصنع والنفعية البغيضة والمداورات الرخيصة"[٨١]

لكن الملاحظ على نقد المؤلف للذات المصرية والشخصية المصرية، أنه يتسم بالعمومية، فهو يصف الفتاة المصرية بأنها خالية من كل إحساس نبيل وعاطفة سامية، وأنها تتخذ من الحب وسيلة للزواج فحسب، ويصف الرجل المصري بالحرص على النقد بأي ثمن بدون أسس أو معايير، ويصفه بجملة من الصفات السلبية سواء جاءت على لسان الراوي أو الفتاة أو شخصيات الرواية، وقد ذكرنا بعضها من قبل، ولذلك نجده يعبر عن تبرمه وسخطه الشديد من عدم استجابة المجتمع لأفكاره، التي يعتبرها ثورة ضد الجهل والتخلف ووسيلة ناجعة للنهضة.

أما (سيرة حياتي) وهي سيرة ذاتية مباشرة بميثاق سير ذاتي واضح، استخدم فيها المؤلف ضمير المتكلم وروى مواقف وأحداثا حقيقية من حياته، فقد حرص المؤلف على تقديم صورة شديدة الوضوح والصراحة للذات، ولم تنقص صاحبها الشجاعة ولا الصدق في سرد كل ما يتعلق بحياته وتجاربه الشخصية، وكانت الشواهد والأدلة التي تؤكد على تفرده ونجاحه حاضرة بقوة ووضوح في هذه السيرة. وسنحاول تسليط الضوء

على صورة هذه الذات كما رسمها المؤلف، وذلك من خلال المواقف والأحداث التي قصها علينا، وحاول عن طريق سردها أن يعكس لنا طبيعة هذه الذات وخصائصها.

وقد زخرت السيرة بالعديد من الأحداث والمواقف التي ساقها المؤلف، وهي تؤكد على أننا أمام (ذات إيجابية) شديدة الرضى عن نفسها، والإعجاب بصنيعها وإنجازها، حيث يحدثنا المؤلف عن تعليمه الأولي والجامعي ومسيرته العلمية والفكرية الناجحة، مسترجعا المواقف التي تثبت جديته وسعيه الحثيث لإثبات ذاته وبنائها بشكل صحيح، فكان يختار دائما الطريق الأصعب والأشق الذي يثبت تفوقه على كل أقرانه، فقد اختار تعلم اللغات وهو في سن مبكرة، وقرأ أمهات الكتب وحفظ المتون وناقشها، وكان باستطاعته أن يقارن بين أديب وآخر، وأن يكون انطباعاته الشخصية عنهم وحده، دون أن يتأثر بأحد وهو في سن مبكرة.[٨٢]

وحين أنهى تعليمه الثانوي وحصل على درجات مرتفعة، حيث كان ترتيبه الثاني على القطر المصري كله، رفض الالتحاق بكلية الحقوق كما كان يرغب أبوه، وأصر على الالتحاق بكلية الآداب قسم الفلسفة، رغم تهديد والده له بعدم الإنفاق عليه لو لم يلتحق بكلية الحقوق، لكنه يصر على تحقيق هدفه ودراسة ما يحب هو، وساعده في هذا الأمر عميد الكلية منصور فهمي وأستاذه الشيخ مصطفى عبد الرازق، حيث تعلم على نفقة الجامعة في السنة الأولى بوصفه أحد الطلاب المتفوقين. يقول بدوي:" لكن عزمي قد استقر منذ السنة الثالثة الثانوية على دخول كلية الآداب، لدراسة الفلسفة بالذات. وفي السنتين الرابعة والخامسة ازداد عزمي هذا رسوخا، وازداد إيماني وثقتي باختياري هذا، بحيث لن يستطيع أحد زعزعة رأيي هذا"[٨٣]

لقد تحقق للمؤلف ما يريد والتحق بقسم الفلسفة، وكان هذا من أسباب فخره وتباهيه وإعجابه بموقفه، كما كان تتلمذه على كبار الأساتذة والمستشرقين مصدر إعجاب حقيقي، حيث تتلمذ على يد الشيخ مصطفى عبد الرازق وكويريه وماسينيون وكراوس ولالاند وغيرهم.[٨٤] كذلك كان إتقانه للعديد من اللغات الأجنبية، مثل اللغة

الألمانية والإيطالية واليونانية والفرنسية وهو لا يزال طالبا مصدر زهو وإعجاب، ويؤكد على ذات إيجابية فاعلة وقادرة على إنجاز الكثير من الأشياء، وقد كان بدوي بسبب إتقانه لتلك اللغات حلقة الوصل بين أساتذته وزملائه، وكان هذا مصدر تباه وفخر كبير له. وقد جعله هذا التكوين العلمي الجاد والمميز محل اهتمام أساتذته، كما كان في طليعة الطلاب المتفوقين" حصلت في مايو سنة ١٩٣٨م على الليسانس الممتازة في الآداب من قسم الفلسفة بكلية الآداب بالجامعة المصرية (جامعة القاهرة الآن)، وكان ترتيبي الأول ليس فقط على قسم الفلسفة، بل على كل أوائل الأقسام الأخرى في الكلية"[٨٥]

وتتعدد صور إعجاب المؤلف بذاته وبما أنجزه كثيرا في هذه السيرة، فلا تكاد تخلو صفحة من صفحات السيرة من ذكر موقف أو حدث، يؤكد على نبوغ المؤلف وذكائه وسداد رأيه وهو ما يندرج تحت الذات الإيجابية، ومن تلك المواقف والأحداث التي ذكرها المؤلف بفخر وتباه؛ اهتمام كبرى جامعات العالم به واختياره من بين كل زملائه للتدريس بها، ودعوته للمشاركة في المؤتمرات العلمية في مختلف أنحاء العالم، وصداقته للعديد من المستشرقين، وعلى رأسهم المستشرق المعروف (لويس ماسينيون) "كنت قد التقيت به في يناير من نفس العام في القاهرة، حينما جاء لحضور المؤتمر السنوي لمجمع اللغة العربية. وكان قد قرأ كتابي "الزمان الوجودي" وكتابي "هموم الشباب"، وأعجب بهما كل الإعجاب، كما ذكر لي ذلك أثناء لقائنا بالقاهرة، ثم إنه فرض كتاب "هموم الشباب" على الطلاب المتقدمين للحصول على الأجريجاسيون في اللغة العربية في ذلك العام الذي يليه"[٨٦]كما كان قضاؤه جل وقته في المكتبات وتحقيقه كتب أرسطو في المنطق وترجمته لها: المقولات والعبارة والتحليلات الأولى والقياس والبرهان والطوبيقا والخطابة وفي الشعر وفن الشعر، بالإضافة إلى غيرها من الكتب المهمة، مصدر تباه وإعجاب كبير، وتأكيدا على الذات الإيجابية المنتجة والفاعلة.[٨٧]

ومن ذلك حديثه المفصل عن مشاركته في وضع دستور عام ١٩٥٣م، وكان يرأس هذه اللجنة (علي ماهر)، وكانت مكونة من خمسين عضوا، منهم: طه حسين وأحمد لطفي السيد وعبد الرزاق السنهوري وعبد القادر عودة وغيرهم من الأعلام، وقد عمل داخل لجنة صياغة الدستور ولجنة الحقوق والواجبات، وكان له دوره المهم وشخصيته المميزة وصوته المسموع داخل هذه اللجنة، التي كانت تضم نخبة مميزة من أعلام الفكر والثقافة والسياسة وأساتذة القانون في مصر. يقول في هذا الصدد: "وللعمل في هذه اللجنة أعددت نفسي إعدادا جيدا بالاطلاع على كل الدساتير، التي صدرت في الدول المختلفة الأنظمة، بعد الحرب العالمية الثانية، فضلا عن الإلمام بالقانون الدستوري بصورة عامة"[٨٨] ويقول: "وكان د. طه حسين قليل المشاركة بالرأي، وإنما كان يشارك في صياغة عبارة المادة. أما أنا فكنت واعيا دائما إلى الأخذ بأقصى درجات الحرية: في الرأي، والبحث العلمي، والنشر، والاجتماع، والملكية، والتجارة، والزراعة، والصناعة، والعقيدة الدينية والفكرية"[٨٩]

وقد بلغ إعجاب الكاتب بذاته وإنجازاته وأعماله حد النرجسية، وإن كانت النرجسية هنا كما يقول الدكتور عز الدين إسماعيل نرجسية محورة ومنقولة، حيث تدور وتتمحور حول ما قدمه الكاتب وما أنجزه، وليس حول ذاته وشخصه.[٩٠] فالدكتور بدوي لا يفتأ يسترجع أحداث حياته ويذكر مؤلفاته، إلا ويشفعها بكيل من الثناء والمديح والتقدير الكبير لهذه الأعمال، فهو يرى أن ما قدمه في مجال الفكر الوجودي، لا يقل بحال عما قدمه مفكرو الوجودية الكبار، ويرى أن لوحة مقولاته عن الوجود التي حاكى فيها لوحة مقولات (إيمانويل كنت) تتفوق على ما فعله هيدجر "فكما فسر (إيمانويل كنت) الأحكام العقلية وفقا للوحة مقولاته الاثنتي عشرة، كذلك وضعنا نحن – وهو ما لم يفعله (هيدجر) ولا غيره من الفلاسفة الوجوديين – لوحة مقولات تفهم وفقا لها أحوال الوجود"[٩١]

ويقول عن تحقيقه لكتب أرسطو وغيرها وإنجازه المميز في هذا المجال: "وقمت في هذا الباب بما لم يستطع العشرات من المستشرقين الأوربيين مجتمعين القيام به ولا بعشره"[٩٢] ويقول تعقيبا على تحقيقه وترجمته لأعمال أرسطو: "وبهذا العمل العظيم الذي لا أجد له مثيلا في تاريخ تحقيق المخطوطات في العالم كله وبأية لغة، أديت مهمة عظيمة الفائدة"[٩٣] ويقول: "وقد حدث لبعض ما نشرته من كتب ومجموعات أن تناولته عشرات، بل مئات الأبحاث فيما بعد"[٩٤] ويعقب على إنجازه وتحقيقه لكتابات أرسطو، وما تبع ذلك من غيرة كثير من المستشرقين منه بقوله: "وأمام هذا العمل العملاق الجبار جن جنون العاجزين الحاقدين من هؤلاء المستشرقين الأدنياء"[٩٥] ويقول عن دوره في نشر الوجودية وتعريف الناس بها: "وبفضل ما كتبت عن الوجودية، صارت الوجودية رافدا أساسيا في تكوين غالبية المثقفين العرب"[٩٦]

وتظهر السيرة لنا شخصية الدكتور بدوي التي تتسم بالعناد والإصرار على تحقيق ما يريد، والتشبث برأيه والاعتداد الشديد بالنفس مهما كلفه الأمر، وقد مر بنا كيف خالف رغبة أبيه حين أراد أن يلحقه بكلية الحقوق، وأصر هو على الالتحاق بكلية الآداب حتى لو أدى ذلك لحرمانه من إنفاق الأب عليه. وحين حرم من البعثة إلى فرنسا وألمانيا بعد تعيينه معيدا، وكان هو الأحق من بين المتخرجين في قسم الفلسفة بها، حيث كان ترتيبه ودرجاته تفوقهم جميعا، قرر أن يمضي إجازاته في أوربا، وأن ينجز ما بوسعه أن ينجزه ردا على هذا التعنت من قبل إدارة الجامعة، وقد "أنجز في أوربا من الأبحاث العلمية ما عجز عنه كل من أوفدوا من قبل من قسم الفلسفة. وكذا كان"[٩٧] وحين حدثه الدكتور طه حسين بشأن انتمائه لحزب مصر الفتاة، بناء على اتصال جرى بينه وبين وزير الداخلية آنذاك النقراشي باشا، رفض بدوي هذا التدخل وأقنع الدكتور طه حسين بقوة حجته، بأنه لا يحق لوزير الداخلية التدخل في شؤون الجامعة وحرية الأفراد.[٩٨] ولم يصرفه عن حزب مصر الفتاة رادع أو تهديد، وإنما قطع صلته بالحزب بعد أن تبين حقيقة مؤسس الحركة، وتأكده أن الحركة قد حادت عن

أهدافها، خاصة بعد أن دعا مؤسسها لتحطيم الحانات، وقيامه بإرسال رسالتين إلى كل من (هتلر) و(موسوليني) يدعوهما فيهما للإسلام، على غرار الرسائل التي أرسلها الرسول الكريم إلى المقوقس وكسرى، حيث لم يستطع المؤلف تحمل مثل هذه التصرفات، واعتبرها إهدارا لكل النضال السابق لهم من خلال تلك الحركة، فهو لم يترك الحزب انصياعا لرغبة وزير الداخلية، ولا بضغوط من الدكتور طه حسين، ولا برجاء من أستاذه الشيخ مصطفى عبد الرازق الذي كان يكن له كل الاحترام والتقدير، وإنما تركه وقطع صلته به، بناء على قناعات شخصية وتحليل دقيق لشخصية مؤسس الحركة وأهداف الحركة.[٩٩]

وحينما تمسك الأستاذ أحمد أمين، وكان عميدا لكلية الآداب آنذاك، بتأجيل مناقشة رسالته للدكتوراه عاما كاملا، بسبب إجراءات شكلية لا تمت للعلم ولا للبحث العلمي بصلة، لم يستسلم المؤلف لذلك ولكنه لجأ إلى أستاذيه: طه حسين ومصطفى عبد الرازق ومشرفه على الرسالة (كويريه) الذي كان غاضبا من تصرف العميد وقال للباحث: "هذا جزاؤك لأنك ألفت كتبا ونشرتها! ألا فلتعلم أن كل كتاب تصدره هو بمثابة خنجر في قلوب الحاسدين"– وهذه كلمة حكيمة جدا، طالما عرفت صدقها في كل مرة أصدرت فيها كتابا، في طول حياتي العلمية. لكن ذلك لم يزدني دائما إلا إيمانا برسالتي العلمية، وحرصا على الاستمرار في الإنتاج، ولسان حالي في كل مرة هو: موتوا بغيظكم أيها الحاقدون"[١٠٠]

وعلى الرغم من صرامة المؤلف المعهودة وجديته، فقد بدا في جزء غير قليل من السيرة إنسانا اجتماعيا منفتحا على الآخر، شديد الامتنان لمن يسدي له خدمة أو معروفا. فقد تكرر ثناؤه على العديد من الأشخاص الذين كانت لهم أياد بيضاء عليه، وعلى رأسهم: شيخه مصطفى عبد الرازق ولالاند وكويريه والدكتور طه حسين وغيرهم من الأشخاص. وسوف أتحدث عن ذلك بالتفصيل عند تناول صورة الآخر في هذه السيرة.[١٠١]

ولم تخل السيرة من إشارات متناثرة عن علاقات الكاتب العاطفية، التي تظهر الوجه الآخر للكاتب من خلال علاقته بالمرأة، لكنها قليلة للغاية ولا تكاد تذكر، ويبدو لي أن الكاتب قد زج بها زجا في سيرته لإكمال الشكل السير ذاتي، الذي يفرض أحيانا على كاتب السيرة، تسليط الضوء على مواقفه الشخصية وتجاربه الذاتية والجوانب الخفية والعاطفية في حياته.[١٠٢]

وإذا كنا قد تعرضنا لصورة الذات التي تندرج فيما يمكن الاصطلاح عليه بالذات الإيجابية، فإن السيرة تطلعنا على صور أخرى مناقضة، يمكن إدراجها فيما يعرف بالذات السلبية، ونقصد بها: تلك الذات التي تتسم بالحدة والقسوة والتشدد في الرأي، وتجاوز النقد الموضوعي أحيانا إلى السخرية والتهكم، وتصفية الحساب مع شخص أو فكر بعينه. فهو حين يقارن حال التعليم الثانوي على أيامه بالتعليم الثانوي لاحقا، يرى أن هناك فارقا كبيرا بينهما، ويقرر أن التعليم قد انهار انهيارا تاما، ويرجع ذلك إلى استحداث طرق تربوية مختلفة، وإلى تدريس كتاب النحو الواضح لعلي الجارم ومصطفى أمين كما يقول.[١٠٣] وقد يكون مع الكاتب بعض الحق في الانحياز إلى التعليم القديم ومخرجاته ومستوى الطلاب والأساتذة، قياسا بما شهده التعليم لاحقا، لكن الذي يعيب المؤلف هنا هو المبالغة في الأمر.

ويعزو المؤلف عودة عدد من مبعوثي كلية الآداب من فرنسا دون الحصول على الدكتوراه سنة ١٩٤٠م، وكان من بينهم: محمد مندور، وعثمان أمين، ونجيب بلدي، أو عودة بعضهم بعد عشر سنوات وحصولهم على شهادات دون الدكتوراه مثل: يوسف مراد وعبد الهادي أبو ريدة إلى "قلة الذكاء المقرونة بالكسل وعدم الرغبة في العلم والتحصيل. وتقع مسؤولية إيفادهم على عاتق من لم يحسنوا اختيار الموفدين في البعثات"[١٠٤] وهو يجزم بذلك دون أن يذكر الظروف التي ربما تكون سببا في تأخر هؤلاء في الحصول على رسائلهم العلمية.

ويصف الأجواء في الجامعة بأنها كانت فاسدة للغاية، حيث كان سلاح الأساتذة ليس هو التنافس في العلم والإنتاج العلمي، بل في الدس والوقيعة والوشاية، والتزلف إلى ذوي النفوذ داخل الجامعة وخارجها.[١٠٥] وقد ذكرت السيرة في هذا الصدد العديد من المواقف لأشخاص ورموز، تثبت هيمنة أجهزة المخابرات والسلطة السياسية على كثير منهم، حيث تنافس هؤلاء في خطب ود النظام بإسفاف وابتذال. وأحسب أن شخصية الدكتور بدوي وتكوينه الخاص، وما تتسم به من ترفع وتعال قد عجزت عن مجاراة هذه الأوضاع، فكان قراره هو السفر والرحيل عن الوطن، لأن بضاعته التي يملكها ولا يملك غيرها هي علمه وإنتاجه العلمي فحسب.

ومن تلك المواقف التي تدل على أحط درجات النفاق كما يرى بدوي: مطالبة أحد الأساتذة في اجتماع لجنة الفلسفة، بالمجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، بمنح جائزة الدولة التقديرية لصاحب الميثاق! وسط تأفف الحاضرين لكنهم عجزوا عن الرد عليه بسبب أجواء التجسس والتنصت، فقال المؤلف في سخرية: "أنا مندهش من هذا الاقتراح! فكيف يتجرأ صاحب هذا الاقتراح(محمد ثابت الفندي) على أن يتطاول على رئيس الجمهورية، فيزج به في التنافس على هذه الجائزة؟! فأسرع صاحب الاقتراح بسحب اقتراحه، وارتاح سائر الأعضاء الجبناء أن ردي هذا خلصهم من الورطة التي انزلقوا إليها"[١٠٦]

فإذا كان موقف الدكتور ثابت الفندي يستحق الإدانة، ووصفه بأنه من أحط درجات النفاق، فما بال الدكتور بدوي يصف أعضاء اللجنة بالجبناء، رغم علمه بطبيعة الأجواء المسمومة في تلك الحقبة، وقد ذكر هو نفسه أن العديد من أعضاء هيئة التدريس، قد فصلوا من وظائفهم لمجرد الشك في عدم ولائهم للثورة، كما أنه حين عجز عن مواجهة المد الشيوعي المتغلغل والممسك بكل الصحف ووسائل النشر بصورة مباشرة، لجأ إلى الأسلوب غير المباشر أو ما أسماه هو بأسلوب الحكيم "لقد استخدمت إذن أسلوب الحكيم كما يقال في كتب البلاغة العربية، أو الخطاب غير

المباشر كما يقال في كتب البلاغة الأوربية، إذ لم يكن في وسعي أن أنشر في الصحف، أو أصدر كتبا تتناول الرد على المد القرمزي الشيوعي في مصر مباشرة"[١٠٧]

وينعت بدوي الصحافيين المصريين بالجهل والادعاء، بسبب عجزهم عن فهم الوجودية وتناولهم السطحي لها، بل وينعت عامة الشعب المصري بالجهل والسطحية، ويتهمهم بأنهم لا يكلفون أنفسهم عناء قراءة كتاب واحد عن القضايا والموضوعات الفكرية المهمة، لأنهم "ممعنون في الجهل والتفاهة والادعاء... وهذا في نظري أعضل داء أصيبت به عقول المصريين. فما بالك إذا انضاف إلى هذا الجهل المركب العنيد الحقد الأزرق المدمر؟"[١٠٨] وقد يكون الدكتور بدوي محقا في حكمه على تناول بعض الصحافيين وتغطيتهم للكثير من الأمور، لكن الذي يعيبه هنا هو التعميم والصدور عن أحكام مسبقة وآراء قطعية، يصعب الحياد عنها أو تغيير وجهة نظره فيها بشكل من الأشكال.

وكثيرة هي المواقف التي يذكر فيها الدكتور بدوي رأيه بمثل هذه الحدة، وهو يتجاوز في نظري حدود النقد الموضوعي المتعارف عليه، ومن ذلك على سبيل المثال رأيه في العقاد والشيخ محمد عبده وسعد زغلول وجمال عبد الناصر وأحمد أمين وزكي نجيب محمود وتوفيق الحكيم وكثير من قادة الفكر والأدب، وسوف أتحدث عن ذلك في الجزء المخصص لدراسة صورة الآخر في سيرة حياتي.

صورة الآخر في هموم الشباب وسيرة حياتي:

يقصد بصورة الآخر مجموعة الخصائص والسمات والمعتقدات والسلوكيات التي ننسبها للآخرين، سواء كانوا من الأفراد أو الجماعات أو الشعوب.[١٠٩]وقد تنوعت صورة الآخر في هموم الشباب بشكل واضح، حيث كان الهدف الرئيس من المغامرة التي قام بها الراوي، وما انطوت عليه من مخاطر، وما تبعها من عواقب وخيمة له

ولأصدقائه، التعرف على أعماق الذات البشرية لدى شريحة بعينها، دون الوقوف عند السطح أو القشرة الظاهرية، حتى وإن كان الثمن الذي سيدفعه الراوي باهظا "لماذا لا أركب هذا الخطر لعلي أن أجد فيه ما يرضي نزعتي الحارة إلى حب الاستطلاع، واكتشاف المجهول في النفس الإنسانية من بقاع؟ ها هي ذي منطقة حافلة بأوفر التجارب، لأنها تمثل نموذجا إنسانيا من الطراز الأول في الغرابة والطرافة، فلماذا لا أرتادها، على الرغم مما عساني ألقاه فيها من مكاره ومصاعب؟"[١١٠]

وقد خص المؤلف المرأة بجزء كبير من تحليلاته، حاول من خلالها الوقوف على حقيقة شخصيتها، وتقديم صورة عميقة عنها، تتجاوز الصورة النمطية والتقليدية، التي تعرف بها في الأدبيات المختلفة. والمرأة هي الآخر التقليدي بالنسبة للرجل، تكتنف العلاقة بينهما الغموض والتعقيد وسوء الفهم المتبادل في بعض الأحيان، وقد قامت الحبكة القصصية فيهذه السيرة على اصطناع علاقة بين الراوي وإحدى فتيات الليل، بسببها كان يتردد عليها في أحد الملاهي الليلية، وبعد أن توطدت العلاقة بينهما أطلعته على جوانب من خفاياها، كما أعطته مذكراتها التي سجلت من خلالها كل ما يخص تجربتها بناء على طلبه، وهو ما ساعده على التعرف بشكل أعمق على هذا العالم المجهول وخباياه، وأسباب سلوك بعض النساء لهذا المسلك المنحرف، والطرق التي تتبعها المرأة في غواية الرجال، وأصناف الرجال الذين تسعى المرأة للإيقاع بهم. ولم يكن الراوي شخصا عاديا ولكنه كان كما قدمه المؤلف صاحب فكر فلسفي عميق، ولذلك فهو لا يحكم حكما سطحيا على هؤلاء الفتيات كما يفعل الكثيرون، بل نراه حريصا على تقديم صورة موضوعية عن المرأة من خلال معايشته لها، والاطلاع على وجهة نظر المرأة ذاتها، من خلال حديثها وتجاربها الشخصية.

وخلاصة ما كشفت عنه الفتاة للراوي من أسباب انحرافها هي وصديقاتها، هو تمردها على سلطة الأب والمجتمع، والرغبة في الانتقام من المجتمع الذكوري المنحاز ضد الأنثى، الذي يكيل بمكيالين، وتقليدها لرفيقات السوء وتأثرها بهن، ثم أصبح

الأمر عادة روتينية ومهنة تنفق منها الفتاة على إخوتها وعلى شراء المساحيق التي تصطاد بها فرائسها من الرجال.[١١١]

ومن خلال مذكراتها وحديثها للراوي، كشفت الفتاة عن صورتين متناقضتين لفتاة الليل؛ الصورة الأولى هي صورة السطح أو الصورة الظاهرية: وهي تلك الصورة النمطية الراسخة في أذهان الكثيرين عن فتيات الليل، حيث تعد رمزا للغواية والانحراف، ومنبعا للشذوذ والفسق، وهي وحدها المسؤولة عن هذا الانحراف وهذا الشذوذ دون الرجل. وأما الصورة الأخرى أو الصورة العميقة التي يجب أن ننظرها للمرأة: فإن وراء كل فتاة من فتيات الليل قصة، ولكل فتاة ظروفها الخاصة التي دفعتها إلى سلوك هذا المسلك، كما أن لكل فتاة صفاتها وطباعها المختلفة، التي يجب أن توضع في سياقها وإطارها الصحيح قبل الحكم عليها؛ فهناك الفتاة المخادعة والساذجة والمتمردة وصاحبة الهوى والآثمة وهناك الضحية والبريئة، ولسن جميعا على صورة واحدة.[١١٢]

لقد كان كثير من هؤلاء الفتيات هدفا للشباب، يبذلون لهم الوعود السخية بالزواج، ويمطرونهم بأعذب كلمات الحب والغرام، حتى إذا حصلوا على ما يريدون انصرفوا عنهن، وألقوا باللوم عليهن وحدهن، ومضوا إلى حال سبيلهم باحثين عن الزوجة ذات الصون والعفاف، فلماذا يقع اللوم عليها وحدها وهي شريكة للرجل في كل ذلك، بل هي صنيعته في كثير من الأحيان، يستخدمها إلى حين ثم يتخلى عنها عندما يقرر ذلك.[١١٣] وإذا كانت صورة هؤلاء الفتيات على هذا النحو الذي ذكرنا، وهي صورة سطحية وغير واقعية وغير موضوعية، فإن كثيرا من الناس يظن أن فتاة الليل تعيش في سعادة وحرية ولا مبالاة، بينما كشفت الفتاة في مذكراتها عن حياة تعيسة بائسة، تعيشها أغلب فتيات الليل، يخضعن فيها لاستغلال أصحاب العمل، ويجلبن لأهلهن العار والخزي، ولا يستطعن أن يجاهرن بعملهن، بسبب نظرات الاحتقار والشماتة فيهن. وقد حكت الفتاة عن والدها الذي اعتلت صحته بعد أن علم بامتهانها

لهذه المهنة، ولم يتحمل ذلك فانتهى به الأمر للموت، وحكت عن صديقتها التي اعتلت صحتها حتى أدركتها المنية، وأخرى ظلت تتنقل من مكان إلى آخر حتى تكون بمأمن عن بطش أهلها.[١١٤]

ويحاول الراوي تقديم صورة تحليلية عميقة لهذه الظاهرة لدى فتيات الهوى، ومعرفة السبب الحقيقي وراء انحرافهن وسلوكهن هذا المسلك، خاصة أولئك اللائي نشأن في ظروف طبيعية، بين أحضان أهل مخلصين أوفياء لم يحرموهن من شيء. ويعزو المؤلف ذلك إلى ما أسماه بغريزة الدعارة، وليست الدعارة في الناحية الجنسية فحسب، ولكنها تمتد لتشمل النواحي الخلقية والأدبية والسياسية "فهذا داعر في الأدب، وذلك داعر سياسي، وثالث داعر اقتصادي إلخ"[١١٥]

وهو يرى أن هذه الظاهرة ترجع إلى أصل فسيولوجي نفساني معا، والشكل الأصلي أو الظاهرة الأولية لغريزة الدعارة هو الدعارة الجنسية، وهي أكثر شيوعا في المرأة من الرجل "لأن المرأة أقرب إلى الوجود الأصيل، الوجود النباتي العنصري، من الرجل. أما عن تحديد المركز العصبي لهذه الغريزة فأمر يحتاج إلى دراسة، ولا أستطيع بعد أن أحدد مظاهره الفسيولوجية. لكن الجانب النفساني هو الأهم: لأن المسألة تتوقف كلها في الواقع على نوع معين من الخلق له صفاته ومميزاته، وما الغريزة الجنسية إلا أداة من أدواته وآلة من آلاته. وهذا الخلق تتضافر على تكوينه عناصر عديدة، من بينها: الخداع والملق وفقدان الشخصية وزوال الإحساس بالمعنى الإنساني في الإنسان، والميل إلى الترضي على حساب الذات الخاصة، وقابلية التلون بأي لون يمكن من ورائه بلوغ مأرب"[١١٦]

ويلاحظ أن الراوي وهو يقوم بتحليل هذه الظاهرة قد نسب بعض الأقوال للفتاة، لا تتفق مع طريقة تفكيرها وعمرها الصغير وقلة ثقافتها وخبراتها، وهذه الأقوال تعكس ثقافة الراوي نفسه ولغته الخاصة. تقول الفتاة في مذكراتها وهي تحاول تبرير قيامها بهذا العمل المشين: "ذلك أن قيمة الفعل كثيرا ما تقاس بحسب كونه صادرا عن

ضرورة ثقيلة أو اختيار حر. لهذا يقاس الفعل الواحد ويقوم تقويمين متناقضين وفقا لكونه صادرا عن الضرورة أو عن الحرية: فيكون إثما وحوبا كبيرا إن صدر عن ضرورة ثقيلة، ويكون عملا جليلا إن صدر عن حرية واختيار، والفعل في كلتا الحالتين واحد. والعلة في هذا فيما يخيل إلي هي أن الحرية في ذاتها من أكبر الأشياء قيمة، فتكفي بنفسها لأن تضفي على الفعل الصادر عنها – أيا كانت حاله وصفته – بطابع الشر والفساد"[١١٧]

وعلى الرغم من دفاع الراوي الواضح عن تلك الفتاة، ومحاولة التماسه العذر لها ولصديقاتها من خلال دراسة الأسباب التي أدت بهن إلى الانحراف، فإن ما قامت به من إبلاغ عنه وعن أصدقائه للضابط الإنجليزي، ربما يؤكد على رأي المؤلف والفيلسوف في المرأة وفي فتيات الليل بشكل خاص، وهو أن طبع الغدر والخيانة متأصل فيها، حيث دفع هو وأصدقاؤه ثمن سذاجتهم وثقتهم المفرطة في هذه الفتاة، التي قابلت إحسانه وإغداقه عليها بالهدايا والوقت بالتبليغ عنه. ولا تختلف هذه النظرة وهذه الصورة للمرأة كما قدمها الدكتور بدوي، عن نظرة كبار الفلاسفة الذين كانوا ينظرون إلى المرأة بكثير من الازدراء والعداء، حتى أن أفلاطون – على ما يشاع عنه من مناصرته للمرأة – "لم يخرج عن إطار التراث اليوناني الذي كان يحمل في أعماقه عداء، إن لم نقل كراهية للمرأة"[١١٨]

وقد زخرت هموم الشباب بالعديد من صور المقارنة بين الذات والآخر الأجنبي، فجاءت صورة الأجنبي في مسارين متناقضين؛ الأول: هو صورة الأجنبي الذي كان مثار إعجاب المؤلف وتقديره، فقد أظهر الراوي مرارا إعجابه بالحياة الغربية ومظاهر الحضارة والقيم الإنسانية والفنية والاقتصادية التي أنتجتها أوربا، أما الصورة الأخرى التي قدمها المؤلف للآخر الأجنبي، فهي تعكس رؤيته العميقة لهذا الآخر، الذي لا يفتأ يردد شعارات جوفاء وخطبا عصماء عن الحرية والمساواة والعدالة، وهم في الواقع

أصحاب مصلحة في إشعال الحروب واستغلال الشباب، رغم أنهم يتظاهرون بأنهم يقفون ضد الحروب، ويدعون المثالية وهم في الحقيقة لا يصدرون عن أغراض نبيلة، بل كانت تدفعهم دوافع آثمة: إما عصبية قومية، أو شخصية.[١١٩]

ويرجع سر إعجاب الراوي بالشباب الأوربي إلى طبيعته الشخصية، حيث يمتاز بالطموح ويتطلع للمجد والاستفادة من تجارب الآخرين ويدعو إلى الاعتماد على الذات، وهو يرى أن الحرب على ما فيها من ويلات ودمار، قد صقلت شخصية الشباب الأوربي وأمدتهم بالأمل، لذلك كانت صورة هؤلاء الشباب بالنسبة للراوي مزيجا من الإعجاب والحسد، فهو يرى أن الشباب الأوربي "قد وجد على كل حال ما يشبع رغبة البذل والفيض بنشاطه، بينا بقينا نحن حيارى متعطلين"[١٢٠]

ويظهر انحياز الراوي للنموذج الغربي، من خلال استشهاده واقتباسه المتكرر لأقوال مفكريهم وكتابهم، ومن هؤلاء: الفيلسوف المعروف نيتشه، حيث يوظف أقواله داخل السيرة للتعبير عن أفكاره الشخصية، التي تعلي من شأن القوة والفروسية وأخلاق النبلاء وغيرها: إن الروح العسكرية الحقيقية هي تلك التي تجعل شعارها كلمة نيتشه الرائعة: عش في خطر.[١٢١] وقد ظهر إعجابه بالغرب من خلال تفضيله للموسيقى الغربية والفن الغربي والمدارس الأدبية الغربية على ما سواها، فهو دائم المقارنة بينها وبين الموسيقى العربية والفن العربي، الذي يراه متخلفا مقارنة بنظيره الغربي، لكن المؤلف يرى أن سر تفوق الغربيين يكمن في وجود نماذج ورموز ألهمت الشباب، وأسست للنهضة والتفكير العلمي الصحيح، أما نحن فلم يكن لدينا مثل هذه الرموز، فوصلنا لهذه الحالة الهشة والمجدبة ولم يجد الشباب أمامهم قدوة صالحة لتجسيد آمالهم وطموحاتهم "ولا شيء أقتل للأمل وروح العمل من أن لا تتجسد الآمال والأفكار أشخاصا حقيقيين واقعيين أحياء؛ إذن تظل أوهاما ضررها أكبر جدا من نفعها"[١٢٢]

وجاءت صورة رجال السياسة والأدب والفن وأصحاب السلطة والنفوذ سلبية للغاية في هموم الشباب، فهم لا يجيدون سوى إلقاء الخطب الرنانة، والمتاجرة بالشعارات والتدليس على الناس، ويرى الراوي أن كثيرا من هؤلاء، قد وصل إلى ما وصل إليه عن طريق الدجل والعمـــالة والتجسس لصـالح أجــهزة الأمـن والمـخابرات، وليس بواسطة ذكائه وإبداعه ونبوغه "كانت الشائعات تحوم حول فلان وفلان وهيان بن بيان دون أن تستطيع الانقضاض على شخص معين بالذات، مما كان يزيد في بلبلة الخواطر وفي اتهام صدق هذه الشائعات؛ وكان من بينهم من يذكر على أنه من أهل الفن وبنات الهوى، بيد أن التحديد كان يعوز في كلتا الحالتين"[١٢٣] وتبدو هذه الفكرة من الأفكار الجوهرية والمتكررة لدى الكاتب في هموم الشباب، كما طرقها بشكل مفصل في سيرة حياتي، والفارق بينهما أنه ذكرها في هموم الشباب بصفة عامة ودون الإشارة إلى أحد بعينه، أما في سيرة حياتي فقد تعرض المؤلف لعدد من رموز السياسة والأدب والفكر والفن، وذكر أسماءهم، والعديد من الأدلة والمواقف التي تؤكد على ما يقول.

وقد عكس حديث الراوي عن جيل الشيوخ، تصوره السلبي لتأثير هذا الجيل على الحياة وعلى الشباب في كافة المستويات، وهو يرى أن هناك اختلافات جوهرية بين الشباب والشيوخ، تتمثل في حيوية الشباب وحماستهم وتمتعهم بروح المغامرة، على العكس من الشيوخ الذين يقفون دائما عند القشور والأشياء الهامشية تاركين كل ما هو جوهري وعميق.[١٢٤] ويعزو المؤلف كل أثر سلبي في مجال السياسة والاقتصاد والدين والاجتماع والفن وغيرها إلى جيل الشيوخ، فهم في نظره لم يكونوا أمناء في النقل عن الثقافة الغربية، وإنما نقلوا ما يعبر عن قناعاتهم وإيمانهم. فاكتفوا في الأخذ عن الثورة الفرنسية بمجرد الأقوال وترديد النغمات البالية، وفي مجال الاقتصاد أخذوا بالجانب المتطرف الذي يحيل الإنسان إلى معدة فحسب، وفي الاجتماع تركوا فكرة تحرير المرأة وانصرفوا إلى الأفكار الشاذة الخطرة التي ترد كل شيء إلى الغريزة الجنسية،

وفي الأدب كان سبب عزوف الشباب عن الأدب الكلاسيكي والجاد وارتمائهم في أحضان الأدب الرومانتيكي والرمزي والسيريالي، عدم فهم الشيوخ للأدب الكلاسيكي بشكل جيد، ومن ثم لم يستطيعوا تقديمه بشكل صحيح، وفي الدين كانت المعركة على أشدها بين معسكرين؛ الأول يمعن في الإلحاد ويخضع للأفكار الماركسية والوثنية، والآخر يتمسك بظاهر الدين ويغالي فيه إلى أبعد حد، وفريق ثالث يحاول التوسط بين الفريقين، يأخذ بطرف من الحرية الفكرية مع الالتزام بالأصول العامة في العقائد، لكنه كان بلا شخصية ولا هوية. ويحمل الراوي مسؤولية كل ذلك لجيل الشيوخ وعجزه عن مواكبة العصر، وتبني الشباب ومؤازرته وتقديم روح هذه المذاهب والأفكار، بدلا من الوقوف عند الظاهر السطحي.[١٢٥]

وقد جسدت أحداث السيرة وجهة نظر المؤلف تلك، وعكست رأيه السلبي في جيل الشيوخ، وذلك من خلال التجربة التي خاضها هو وأصدقاؤه، حيث اضطرتهم الظروف للبحث عن سياسي محنك ذي خبرة وتجربة، ويعرف بالأمانة والوطنية لكي يقودهم ويوجههم في هذا العالم المضطرب، ويرشدهم إلى السبيل الأنجع لتغيير العالم والعمل على إصلاحه، لكنهم وجدوه مفتقدا إلى الحماسة والهمة وخائفا من كل شيء، وأقرب إلى اليأس والهروب، على العكس منهم تماما. ويعكس الحوار الذي دار بينهم الفجوة الكبيرة بين الأجيال المختلفة، ولا شك أن لكل منهم منطقه في التفكير، فعندما وجد المفكر استخفاف زملائه وأبناء جيله بكلام الرجل الكبير، حاول إقناعهم بالتأني في الحكم وعدم التسرع، وأن الأمر ليس بالبساطة حتى ينعتوه ويدمغوه وأمثاله بلفظ الشيوخ، ورأى أن حديث الرجل رغم ملاحظاتهم عليه، كان مليئا بالأفكار العميقة وبالآراء المبتكرة، التي لا ينبغي أن ترفض جملة واحدة على أنها متاع قديم.[١٢٦]

وقد أكدت الأحداث صحة رأي هذا الشيخ ودقه حكمه على الأشياء، وهو ما يشير إلى ضرورة تواصل الأجيال وتناصحها، لا تنافرها واحترابها وإلقاء كل منهما المسؤولية على الآخر. يقول المفكر بعد أن اتضحت لهم الحقيقة، وتبين لهم أنهم

كانوا واهمين وحالمين بتغيير العالم وإمكانية إصلاحه بهذه الطريقة الساذجة: "لقد كان الرجل الكبير صادقا كل الصدق، حينما قال: إن الأفضل للإنسان أن يعود إلى الحياة المعدنية الأولى، مطرحا هذه الصورة الكاذبة: صورة الإنسانية الحيوانية. ألا ليتني استمعت إليه، إذن لكنت منذ زمن طويل أرقد ناعما بين طيات الصخور"[١٢٧] ولا شك أن جموح الشباب يحتاج إلى حكمة الشيوخ وإلى التريث وعدم الاندفاع، وهو ربما ما رمى السارد إلى إبرازه من خلال هذا الحوار "كنت ساذجا لما أن عارضته في رأيه وعارضه زملائي الثلاثة. ولعله لم ينزل عند محاولتنا في مغامرتنا الجديدة، إلا لكي يدع التجربة تصفعنا فلا نعود إلى سالف أوهامنا الكليلة"[١٢٨]

وجاءت صورة رجل الشرطة ومحقق النيابة كما رسمها الراوي بشكل ساخر للغاية، تعكس رأيه ووجهة نظره في طريقة تفكيرهم، التي لا تعتمد على المنطق أو العقل والتفكير السديد، وإنما على منطق القوة والبطش والتحريات غير الصحيحة وغير الدقيقة؛ فقد انحصرت أدلة اتهام الراوي وبعض رفاقه في تقرير كتبه ضابط في قلم المخابرات البريطاني، وعبثا حاول الراوي إقناع المحقق بأن كل ما سعى إليه هو وزملاؤه، كان من أجل البحث عن حياة أفضل للإنسان، خالية من الشر والأحقاد والفساد، لكن المحقق كان مصرا على أن ما قاموا به هو عمل غير مشروع ومجرم قانونا، وأنهم في نظره مدانون لأنهم سعوا لقلب النظام وتغيير العالم، ولم يزده حوار الراوي ومحاولة إقناعه إلا حدة وحنقا "وما بدأت أسترسل في هذا الحديث حتى ركبت الهائجة رأسه، وبعد قليل من التهديدات الغامضة أمر بإغلاق محضر التحقيق إلى ميعاد آخر، كما أمر بوضع القيد في يدي وإعادتي إلى سجني"[١٢٩]

أما سيرة حياتي، فقد تناول المؤلف فيها العديد من الشخصيات، التي يصعب تقديم صورة كل واحد منها بشكل منفرد، لذلك سأدرس صورة الآخر وفق تقسيم معين، أرى أنه يعكس تصور الكاتب لهؤلاء الأشخاص ووجهة نظره فيهم، كما يظهر حقيقة مشاعره تجاههم، قربا وبعدا وسلبا وإيجابا وحبا وبغضا. ويمكن تقسيم هؤلاء

الأشخاص بحسب سيرة حياتي إلى ثلاثة أنماط: **النمط الأول**، ويتناول صورة الإنسان الحبيب القريب من النفس، الذي يؤثره الكاتب على الآخرين، ويخصه بكلمات الثناء والمديح، ويغفر له زلاته ويتجاوز عن كثير من مواقفه الشخصية، ويقدمه المؤلف دائما في صورة إيجابية.

وأما النمط الثاني: فهو الذي يعكس نفور المؤلف وكراهيته وازدراءه ونظرته السلبية لهذه الشخصية، ولكل ما تحمله من أفكار وقيم، لذلك نجد حديث الكاتب عنهم خاليا من أية إشارة ودية أو موقف إيجابي، ولا يغفر لهم القليل من الزلل.

وأما النمط الثالث: فهو الذي يشير إلى روح الباحث المحايد والموضوعي، الذي يقدم الشخصية بحياد وموضوعية قدر الإمكان، بعيدا عن مشاعر البغض أو الحب.

ويلاحظ أن النمط الأول، الذي قدم فيه المؤلف صورة لبعض الأشخاص تعكس حبه لهم وقربهم من نفسه، كانت قليلة للغاية، وهو ما يعبر ربما عن شخصية الدكتور بدوي، الذي اختار أن تكون بينه وبين الآخرين مسافة وحدود، من خلال جديته التي عرف بها وصرامته المعهودة. ويأتي في طليعة هؤلاء الأشخاص أستاذه الشيخ مصطفى عبد الرازق، حيث تردد اسمه كثيرا في السيرة مصحوبا بكل عبارات الثناء والمديح، وجاءت مواقفه مقترنة دائما بالنبل والتصرف الإيجابي، وقد توثقت العلاقة بين الشيخ وتلميذه بعد مرور شهر واحد على التحاق الدكتور بدوي بكلية الآداب، وكان الشيخ يدرس أصول الفقه والتصوف وعلم الكلام وعلم المنطق، وعلى الرغم من أن الشيخ قد طغت عليه نشأته الأزهرية، فلم يتمكن من التحول عنها إلى المنطق كما تطور في أوربا، كما يقول المؤلف.[١٣٠] فقد كان الشيخ بمواقفه وصفاته الطيبة من أقرب الأشخاص لقلب المؤلف وقناعاته.

وجاءت اللغة التي وصف بها بدوي شيخه مصطفى عبد الرازق رقيقة وعذبة للغاية، تعكس مودته ومحبته الحقيقية للشيخ، وتحمل كل معاني الوفاء والإجلال،

يقول بدوي عن شيخه: "لكن الجانب العلمي لم يكن أقوى جوانبه، بل الجانب الإنساني. لقد كان النبل كله، والمروءة كلها. كان دائما هادئ الطبع، باسم الوجه، لا يكاد يغضب، وإن غضب لم يعبر عن غضبه إلا بحمرة في وجهه وصمت كظيم. لقد كان آية في الحلم والوقار. لكنه وقار عفو الطبع، لا تكلف فيه ولا تصنع. وفي حالات الأنس بمحدثيه من الأصدقاء أو التلاميذ، كان ودودا محبا للسخرية الخفيفة. وإذا أراد التقريع لجأ إلى التهكم اللاذع. وكان آية في الإحسان إلى الآخرين. ما لجأ إليه مظلوم إلا حاول إسعافه، أو صاحب حاجة إلا بذل له ما استطاع، حتى لو كان من ماله. وكم له من أياد بيضاء على بعض طلابه الذين سألوه المساعدة، رغم أنهم لا يستحقونها"[١٣١]

وقد كان الشيخ مصطفى عبد الرازق قبلة الدكتور بدوي ومرجعه في كثير من الأمور في أثناء دراسته الجامعية، فكان يهرع إليه كلما واجهته مشكلة أو تعنت معه أحد، مثلما حدث معه عند سفره إلى أوربا، وعندما اتصل النقراشي باشا بالدكتور طه حسين وكان وزيرا للداخلية، لكي يبلغه بأن الدكتور بدوي ينتمي لحركة مصر الفتاة، وأن عليه أن يترك هذه الحركة، وغير ذلك من المواقف التي تدل على تأثير كبير وطاغ للشيخ في حياة المؤلف. وربما لهذا السبب لم يذكر الدكتور بدوي في موسوعته الفلسفية، سوى نفسه وشيخه الأستاذ مصطفى عبد الرازق كما مر بنا.[١٣٢]

ومن مآثر الشيخ مصطفى عبد الرازق، التي تؤكد على ترفعه ونبل أخلاقه، كما تظهر مكانته وصورته الناصعة في عين المؤلف، أنه حين أجريت انتخابات على منصب العميد في كلية الآداب بجامعة القاهرة عام ١٩٣٦م، بعد خلو منصب العميد بنقل منصور فهمي إلى دائرة الكتب، وبعد أن حصل الشيخ مصطفى عبد الرازق على أعلى الأصوات، وتلاه في الأصوات الدكتور طه حسين، تنازل الشيخ عن تولي المنصب وتركه للدكتور طه حسين، ولما قدم المستشرق الفرنسي (لالاند) لتدريس

الفلسفة عام ١٩٣٧م، تنازل له الشيخ مصطفى عبد الرازق عن رئاسة القسم تقديرا لمكانته العلمية.[١٣٣]

وحين أعلن الشيخ مصطفى عبد الرازق عن نيته تولي منصب شيخ الأزهر، أشفق التلميذ على أستاذه وحذره من قبول المنصب، بسبب ما ذكره له من دسائس مشايخ الأزهر ومكرهم، لكن الشيخ كان قد عقد العزم على قبول المنصب، وبسبب آرائه المتحررة ومطامع المشايخ والحسد الذي يأكل قلوبهم – كما يقول المؤلف – أصيب الشيخ بسكتة مفاجئة وهو يحضر أحد الاجتماعات بالأزهر "وتوفي الشيخ في أصيل يوم من فبراير سنة ١٩٤٧م بعد جلسة عاصفة لمجلس الأزهر ظهر ذلك اليوم، عانى فيها من تطاول هؤلاء المشايخ عليه وسفالاتهم"[١٣٤]

وأما ثاني هؤلاء الأشخاص وصاحب النصيب الأوفى من الثناء والمديح، الذي قدمه الكاتب بصورة إيجابية، تعبر عن حبه ووفائه وتقديره الكبير له فهو الدكتور طه حسين، ذلك على الرغم من الخلاف السياسي والحزبي الذي كان بين الأستاذ وتلميذه، ولا نريد هنا استرجاع المعلومات والأحداث التي سجلها المؤلف عن أستاذه، ولكن الذي يعنينا هنا هو ذكر ما يظهر صورة الدكتور طه حسين الإيجابية في السيرة. وقد زخر السرد بالعديد من مواقف الدكتور طه حسين، التي تبرز صورته الإيجابية وتعكس احترام التلميذ لأستاذه وتقديره الكبير له، وهي مواقف تؤكد في مجملها على قوة شخصية الدكتور طه حسين وحزمه وحسن إدارته وإيمانه بالحرية وروعة إلقائه وبيانه، ومن هذه المواقف – على سبيل المثال –إصرا الدكتور طه حسين على إيفاد المؤلف في بعثة صيفية إلى أوربا لإتقان اللغتين الألمانية والإيطالية، رغم أنه كان لا يزال طالبا، ومنها موقفه المنحاز للمؤلف عند مناقشة رسالة الدكتوراه، حين تعنت الأستاذ أحمد أمين وتمسك بأمور شكلية وأجل المناقشة لمدة عام.[١٣٥]

وقد انعقدت أواصر علاقة متينة بين الدكتور طه حسين وبين المؤلف منذ عام ١٩٣٥م وحتى وفاته في عام ١٩٧٣م، مما جعله طبيعة يتعرف شخصيته وصفاته

المميزة عن كثب، وقد حظي الدكتور طه حسين بإعجاب بدوي الشديد، إعجابا وصل حد الافتتان بشخصيته وفكره وطريقته في التدريس والإدارة، ومنذ التحاقه بالجامعة حرص على حضور جميع محاضراته والندوات التي كان يحاضر فيها دون غيره من الأساتذة: "حضرت محاضرة واحدة لكل من أحمد أمين وعبد الوهاب عزام وأمين الخولي وإبراهيم مصطفى، فتبرمت منها ولم أحضر غيرها. وإذا كنت قد حضرت كل ما تيسر لي حضوره من محاضرات الدكتور طه حسين، فإنما كان ذلك لإعجابي المفرط به وبصوته وهو يحاضر"[١٣٦]

ويعكس هذا الوصف لإحدى محاضرات الدكتور طه حسين التي ألقاها في لبنان بدعوة من اليونيسكو، وما كان لها من تأثير كبير في الأوساط الشعبية والثقافية هناك، صورة الدكتور طه حسين الإيجابية والمشرقة لدى المؤلف، فقد ألقى الدكتور طه حسين عددا من المحاضرات عن العروبة والإسلام، وسط أجواء محتقنة ومتوترة بين الطوائف المختلفة هناك، حيث كانت لبنان تشهد حملات عديدة تهدف إلى سلخه عن محيطه العربي والإسلامي، وإثارة النعرات الطائفية فيه، فكانت كلماته، كما وصفها المؤلف، نورا سطع وسط هذا الظلام، وأخرس بكلماته كل هذه الأصوات الشاذة "كان جمهور الحاضرين لا يقل عن ثلاثة آلاف شخص. وأذكر أنه حين ألقى في وسط هذه المحاضرة بيتا من الشعر العربي بصوته الساحر، اهتزت أرجاء القاعة بالتصفيق أكثر من خمس دقائق. فكانت هذه المحاضرة العظيمة شمسا أخفت كل شموع الذين سعوا إلى طمس حقيقة لبنان"[١٣٧]

ومن المواقف التي تدل على محبة المؤلف لأستاذه، أنه حين حاول بعض زملاء بدوي الاعتداء على الدكتور طه حسين وتطاولوا عليه، بسبب انحيازه لفئة من الطلاب على حساب فئة أخرى، أدان المؤلف موقفهم، وتمنى لو كان حاضرا في أثناء محاولتهم تلك، حتى يكون في مجال نصرة أستاذه ومنع زملائه من التجاوز في حق

الأستاذ. يقول بدوي عن تلك الحادثة: "لو كنت موجودا لحاولت إقناع زملائي المهاجمين – ونحن من فريق واحد – بالعدول عن هذا الاعتداء على الدكتور طه حسين، مهما كانت وجاهة الأسباب التي تحملهم على أن يفعلوا ما فعلوا"[١٣٨] ويقصد المؤلف هنا بوجاهة الأسباب، أن الدكتور طه حسين كان منحازا لطرف ضد طرف وهو ما كان ينبغي ألا يحدث، حيث يحتم عليه منصبه الإداري أن يكون على مسافة واحدة من الطلاب، مهما كان موقفه السياسي والأيديولوجي.

وأغلب الظن عندي أن حب الواضح الشديد لشخصي الشيخ مصطفى عبد الرازق والدكتور طه حسين، يرجع إلى اشتراكه معهما في العديد من الأفكار والآراء، فقد كان بدوي يؤمن مثلهما بالحرية والفردية، ويرجع كذلك إلى طبيعة الرجلين السمحة وحسن تعاملهما مع المؤلف، وإسداء النصح له ومساعدته في مشواره العلمي والإشراف عليه، وهو ما ظهر في حديثه عنهما.

ولم تخل السيرة من لمحات وأحاديث كثيرة ومتكررة، تتسم بالود وروح الوفاء لعدد من الأصدقاء والزملاء، آثرهم الكاتب بمحبته وكان يلتقيهم من وقت لآخر في البلدان التي كان يذهب إليها، وأغلب هذه العلاقات هي علاقات إنسانية ومن خارج الوسط الأكاديمي، وكان القاسم المشترك بين هؤلاء أنهم يتسمون بالكرم الشديد ويتمتعون بالأخلاق الشرقية وأنهم قدموا خدمات مختلفة للمؤلف، ومن بين هؤلاء: عبد القادر رزق الذي كان يدرس النحت في روما، والإذاعي يونس بحري بالإذاعة الألمانية القسم العربي، وقد أعجب الكاتب به لموهبته وطلاقته اللغوية وروحه المرحة، التي ظهرت من خلال تعليقاته الساخرة التي كان يهاجم فيها الإنجليز وحلفاءهم، ومن بين هؤلاء الدكتور شريف العاصي مدرس الفلسفة في المرحلة الثانوية، وهو يذكر له الفضل في إمداده بالمراجع الفلسفية الحديثة، حيث كانت مكتبته زاخرة بالعديد من المراجع الأجنبية، ومن بين هؤلاء أيضا الرئيس السادات، حيث تدخل لدى السلطات الليبية

وبذل مساعيه من أجل إطلاق سراح المؤلف، وكذلك عدد غير قليل من أساتذته وأصدقائه من المستشرقين مثل (لالاند) و(كراوس) و(ماسينيون) وغيرهم، وعدد من الشعراء والمفكرين والشخصيات العسكرية والتاريخية، كما يبدي إعجابه الشديد بالزعيم مصطفى كامل وأحمد عرابي.[١٣٩]

وأما صورة الآخر التي قدمتها السيرة بشكل سلبي، وتعكس نفور المؤلف وبغضه لهذا الآخر، فهي كثيرة جدا، سواء كان هذا الآخر زميلا أو أستاذا، أو كاتبا أو سياسيا أو إنسانا عاديا، تعامل معه المؤلف أو قرأ عنه وكون عنه هذا الانطباع، وهو ما يعكس بوضوح طبيعة الدكتور عبد الرحمن بدوي الناقدة والناقمة، التي تعبر عن رفضها ونقمتها بأشد العبارات وأقساها حدة. وقد يرجع هذا الموقف أحيانا إلى خلافات فكرية أو سياسية أو دينية أو شخصية بين المؤلف وبين هؤلاء الأشخاص، وعلى أساسها يتخذ منهم هذا الموقف، ويصنفهم على أنهم أعداء أو حاقدون على نجاحه، أو منافسون له أو غير ذلك من التصنيفات. وليس من همي هنا أن أبحث في صحة آراء المؤلف حول هؤلاء الأشخاص أو عدم صحتها، وإنما سأركز جهدي في هذا الجزء، على إبراز صورة هؤلاء كما قدمها الكاتب، ومحاولة تفسير اتخاذه لتلك المواقف منهم.

ومن أكثر الشخصيات التي نالت قدرا كبيرا من نقد المؤلف، وعبر عن بغضه لفكره وشخصه بعبارات حادة وقاسية، كما أظهره في صورة شديدة السلبية؛ الأستاذ العقاد رحمه الله. فهو يصف مشاعره التي لازمته تجاه شخص العقاد وكتاباته طوال حياته، بأنها كانت مشاعر نفور وبغض، وأن العقاد لم يثر في نفسه أي إعجاب، رغم أنه كان يغالب نفسه ويحملها على قراءته، لكن شعوره بالنفور كان يزداد تمكنا، ويشعر بالبرود والسأم الشديد، كلما حاول حمل نفسه على قراءة شيء له.[١٤٠]

ويلفت النظر في هذا السياق، كثرة ما ذكره المؤلف من مواقف وآراء سلبية عن العقاد، قياسا بما ذكره عن غيره من الأشخاص. ولا شك أن العقاد كان قامة فكرية

وأدبية كبيرة، وكانت له معاركه الفكرية والسياسية المعروفة، ومن الطبيعي أن يكون في مرمى النقد والتحليل، وأن يكون له خصومه ومحبوه، ولا شك أن للمؤلف ولغيره الحق في حب العقاد أو بغضه، وفي تناول شخصه وكتاباته بالنقد والتحليل، ولكن شريطة أن يكون هذا النقد نقدا موضوعيا، وليس نقدا ذاتيا وينطوي على تصفية الحسابات كما نلاحظ في نقد بدوي للعقاد.

ويبدو لي أن المؤلف قد تبنى هذا الموقف من العقاد بسبب خلافه السياسي معه، فقد كان العقاد ينتمي إلى حزب الوفد، الغريم التقليدي لحركة مصر الفتاة، التي كان المؤلف ينتمي إليها في مطلع شبابه، وكان بين الحزبين خلافات وصراعات جسيمة تجاوزت الخلاف السياسي المعهود، مما كان له أثره في أعضاء الحركتين. يقول الدكتور بدوي عن العقاد واستغلال الأحزاب المختلفة له مقابل المال وتحقيق الشهرة: "لقد أوعز النقراشي إلى كاتب السعديين في ذلك الوقت، عباس محمود العقاد، بالهجوم بقلمه على كلتا الحركتين –يقصد الإخوان المسلمين ومصر الفتاة – وقد كان العقاد طوال حياته مأجورا لحزب من الأحزاب (الوفد حتى سنة ١٩٣٥) وخصوم الوفد (من ١٩٣٥ حتى ١٩٣٨) والسعديين (من ١٩٣٩ حتى سنة ١٩٥٠) كما كان مأجورا لبريطانيا (طوال مدة الحرب: ١٩٣٩ إلى ١٩٤٥ على الأقل) يستخدم سلاطة لسانه وما يزعمه لنفسه من قوة عارضة في التطاول على خصوم من يستغل للدفاع عنهم"[١٤١]

وقد يعجب المرء حين يعلم أن الدكتور بدوي، كان من رأيه حين تطاول العقاد على حركة مصر الفتاة، ألا يقارعوه بالحجة وألا يردوا عليه من خلال الصحف، لأن العقاد يرحب بالمقالات ولا علاج له عن هذا الطريق، بل لا بد من استخدام العنف معه حتى يكف عن مهاجمة الحركة، وهو ما قام به بالفعل بعض شباب الحركة حيث انهالوا عليه بالضرب "وأحدثت هذه "العلقة" أثرها الحاسم، فخرس العقاد خرسا تاما، ولم يعد إلى الكتابة ضد مصر الفتاة"[١٤٢]

وربما وللسبب نفسه الذي حمل من أجله بدوي على العقاد، نجده يحمل على الشيخ محمد عبده، فلم تختلف صورته عن الصورة التي قدمها للعقاد، فهو يرى أن الشيخ محمد عبده كانت تربطه علاقة حميمة باللورد كرومر، وكان الشيخ يتباهى بتلك العلاقة، وهو ما يعتبره المؤلف خيانة من الشيخ، كما أنه لم يكن في نظره مجددا ولا مصلحا دينيا، فهو لم يصلح في شيء ولا دعا لشيء ذي قيمة سوى "تفاهات شكلية مثل تحليل لبس القبعة – وكأن هذا أمر خطير جدا، به يكون المرء مصلحا دينيا كبيرا!"[١٤٣] ويرى المؤلف أن الشيخ محمد عبده قد حظي بشهرة كبيرة وواسعة، رغم قلة بضاعته وضعف إنتاجه العلمي والفكري، الذي لا يستحق لأجلها كل هذه الشهرة.[١٤٤] ويلاحظ أن الدكتور بدوي لم يذكر اسم الشيخ محمد عبده مسبوقا بلقب الشيخ مرة واحدة في أثناء حديثه عنه.

كما كان الدكتور بدوي مغاليا في موقفه من الأستاذ أحمد أمين والدكتور عبد الوهاب عزام، حيث وصف الأستاذ أحمد أمين بأنه رجل حقود ضيق الأفق، وأنه كان ينتحل أعمال الآخرين، خاصة حين كان رئيسا للجنة التأليف والترجمة والنشر، وذكر المؤلف تجربة شخصية للأستاذ أحمد أمين معه في هذا الصدد، حيث عرض عليه الأستاذ أحمد أمين أن يضع اسمه إلى جوار اسم المؤلف، على كتاب من تأليفه عن التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، لكن المؤلف رفض هذا العرض تماما، وفسر المؤلف تعنت أحمد أمين معه في أثناء مناقشته للدكتوراه، بسبب حقده وتصفية حساباته معه وبسبب غيرته من كل من كان يجيد لغة أجنبية.[١٤٥]

وأما تحامله على الدكتور عبد الوهاب عزام وسخريته منه، فتعود إلى بعض المواقف الشخصية والإدارية، حين كان الدكتور عزام عميدا لكلية الآداب، حيث أرسل مكتب العميد – عبد الوهاب عزام –خطابا للمؤلف حين كان ببيروت، يطلب منه ضرورة العودة لمصر بدعوى أنه لم يتقدم بطلب إجازة، بينما أصر المؤلف على البقاء ببيروت لإلقاء سلسلة محاضراته بمناسبة الاحتفالات الدينية هناك، مؤكدا أن القانون

لا يلزمه بالحصول على تلك الإجازة، حيث إنه سافر خلال الأيام التي لا يلقي فيها محاضرات، وعلى الرغم من مرور الأمر بسلام، وتقديم مكتب العميد اعتذارا للدكتور بدوي عن هذا الخطأ غير المقصود، فإنه اتخذ موقفا حادا من الدكتور عزام، وصار حين يقابله في ردهات الكلية يشيح بوجهه عنه، ازدراء واشمئزازا إلى أن ترك العمادة، ليكون سفيرا في المملكة العربية السعودية، ووصف المؤلف عمله سفيرا بصورة ساخرة للغاية.[١٤٦] وراح بدوي ينعته بأنه متاجر بالدين، وأنه لا يملك مقومات الباحث ولا العالم، وقدمه بصورة سلبية للغاية تعبر عن بغضه ونفوره منه.

وجاءت صورة زعماء حزب الوفد جميعا في السيرة شديدة السلبية، وتعكس نفور المؤلف منهم وبغضه لهم، وقد يكون هذا طبيعيا نظرا للعداء المعروف، بين حزب الوفد وحركة مصر الفتاة، فهم في نظره قد ارتكبوا خيانات لا حصر لها في حق مصر، وعلى رأسها عمالتهم للإنجليز وتنازلاتهم عن حقوق الوطن، واستغلالهم للعمل السياسي والحزبي من أجل تكوين ثروات طائلة.[١٤٧] ويكفي هنا أن نشير إلى بعض ما ذكره المؤلف عن مؤسس حزب الوفد سعد زغلول، حيث ذكر أن تاريخه قبل سنة ١٩١٩ على الأقل كان تاريخا شائنا، ينضح بالخيانة والوصولية وممالأة الإنجليز، وكذلك كان خلفه مصطفى النحاس الذي سار على دربه "إن صفحة اتهام هذا الرجل وسلفه سعد تحتاج إلى مئات الصفحات، وقد تولى تحريرها على مدى خمسين عاما كتاب آخرون في سائر الصحف غير الوفدية"[١٤٨]

وجاءت صورة جمال عبد الناصر وقادة ثورة يوليو شديدة السلبية، وتعبر عن نفور المؤلف الحقيقي وكراهيته لهذه الحقبة وهؤلاء الأشخاص، رغم أن المؤلف كان مؤيدا للثورة في بداياتها. وقد يكون هذا الأمر مفهوما في ضوء انتماء المؤلف للطبقة الأرستقراطية، التي تعرضت ممتلكاتها للتأميم ومصادرة الأراضي في عهد عبد الناصر، كما أنه كان واحدا من أشد المؤيدين للحريات وهو ما لم تحققه الثورة، كما كان يطمح المؤلف. وعلى الرغم من محاولة المؤلف الظهور بمظهر الباحث

الموضوعي والمحايد وهو يتحدث عن هذه الحقبة، من خلال انتقاده الشديد للحقبة الملكية وعدم تبنيه للنظام الملكي، فقد كانت مآخذه على الحقبة الناصرية، والصورة القاتمة التي وصف بها نظام عبد الناصر أكبر من أن تخفيها هذه المحاولة. فبعد نقده للعهد الملكي، ومقارنته بينه وبين حقبة عبد الناصر، يصلمن خلال المقارنة إلى هذا الرأي "وما أريد بهذه المقارنة أن أمجد العهد السابق على سنة ١٩٥٢، فهيهات هيهات! ولا يعقل مني أن أمجد العهد السابق على سنة ١٩٥٢، وأنا الذي ناضلت طوال الأعوام السبعة عشر السابقة على ذلك التاريخ ضد مفاسد ذلك العهد، وما استشرى فيه من خيانات في حقوق الوطن، ومن مفاسد ومحسوبيات ومظالم واستهتار بالحقوق وعدوان على الحريات. لكن هذه المفاسد والشرور تعادل واحدا في الألف مما حدث بعد ٢٣ يوليو ١٩٥٢"[١٤٩]

ومن أهم مآخذه على عبد الناصر وحقبته؛ مصادرة نظام عبد الناصر الأموال والعقارات والأراضي الزراعية والعمائر المشيدة والأسهم والسندات، وتبديد ذلك كله على المخابرات والمغامرات باسم مصلحة الشعب، وكذلك مصادرته للحريات وإنزال صنوف التعذيب بالمعارضين لسياساته واعتقال آلاف الأبرياء، وجر البلاد إلى حربين مدمرتين: حملة السويس ١٩٥٦، وحرب الأيام الستة في يونيو ١٩٦٧، وإغلاقه حدود مصر على أهلها ومنع المصريين من الخروج لطلب الرزق "فقضى على مقدرات هذا الشعب المصري المسكين، الذي كانت تساق غوغاؤه في مظاهرات كاذبة مفتعلة لتأييد هذه القرارات "الشعبية"، كما كان حملة مباخر عبد الناصر يسودون صفحات جرائده الهزيلة لإحراق البخور حول هذه القرارات "بصراحة""[١٥٠]

ويرى الدكتور بدوي أنه بسبب قمع الحريات والدعاية المضللة لنظام عبد الناصر، فقدت كل المؤسسات الوطنية سمعتها ونزاهتها، وتورطت في التخابر والعمالة للأجهزة الأمنية، مما أضاع على مصر فرصة التقدم والنهضة واللحاق بركب الأمم المتحضرة. فإن "الفزع والهلع والجبن والخور والتملق والنفاق – تلك كانت

الأحوال النفسية والخلقية السائدة لدى الطبقات المثقفة في المجتمع المصري في عهد عبد الناصر"[١٥١]

وقد عكست اللغة التي وصف بها المؤلف عبد الناصر ونظامه، بغضه الشديد لهذه الحقبة ونفوره منها ومن كل ما تمثله، فهو ينعته بالطاغوت المستبد، ويصف من حوله بالأبالسة والزبانية والجلادين "إني أحار في تفسير سلوك هؤلاء جميعا، أية لذة يجدها هؤلاء الجلادون في تعذيب فرائسهم، والتنكيل بضحاياهم؟! لو كان انتقاما لجريمة ارتكبوها في حق أنفسهم، لقلنا مع هوميروس: "إن الانتقام أشهى من العسل". لكن لم يكن بينهم وبين ضحاياهم أي داع للانتقام. وقد تفنن هؤلاء الجلادون في أدوات التعذيب وأساليبه: من إطلاق الكلاب المتوحشة على المسجونين والمتهمين، والنفخ فيهم من استاههم، وتوصيل خصيهم ومذاكيرهم بتيار كهربائي، وصب المياه فوق رؤوسهم، وتسليط الأضواء الشديدة حتى لا يغمض لهم جفن طوال الليل، والضرب بالسياط على ظهورهم ووجوههم وكل موضع حساس فيهم"[١٥٢] ولا يخفي المؤلف فرحه الشديد حين علم بموت عبد الناصر، إذ كان يعتبره كابوسا رهيبا انزاح عن صدر مصر، ويرى أن احتشاد الجماهير في جنازته، لا يرجع بالضرورة لحب الناس له، وإنما بسبب الدعاية الإعلامية، ولطبيعة الشعب المصري الذي لديه ولع مرضي بتشييع الجنازات.[١٥٣] وقد ردد المؤلف كثيرا أن الوطن قد تحول إلى سجن كبير في تلك الحقبة، لذلك كان قراره الرحيل والهجرة الدائمة عن الوطن، وهو ما يعكس بغضه الشديد لهذا العهد ورموزه.

وجاءت صورة علماء الأزهر والشيوعيين في السيرة سلبية للغاية، تعبر عن شدة نفور المؤلف منهم وبغضه الواضح لهم، فهو ينعت الشيوعيين بالإرهاب الأحمر، ويعتبر تغلغلهم وتمكنهم من كل أدوات الإعلام في مصر كارثة حقيقية، وثمنا باهظا دفعته مصر مقابل تمويل الاتحاد السوفييتي لبناء السد العالي، وقد ذكر منهم: محمد حسنين هيكل ومحمد سيد أحمد ولويس عوض وصلاح جاهين وأحمد بهاء الدين

ومحمود أمين العالم وعبد الرحمن الشرقاوي وغيرهم، وهو يرى أن هؤلاء قد سعوا لنشر الشيوعية في مصر، وتآمروا "للقضاء على المجتمع المصري ليقيموا على أنقاضه دولة شيوعية خالصة تدور في فلك موسكو وتأتمر بأوامر سادة الكرملين، وتكون قاعدة لانطلاق الجحافل الحمر على كل بلدان الشرق الأوسط والزحف على دول أفريقية"[١٥٤]، وقد يكون هذا مفهوما في ضوء أيديولوجية المؤلف المختلفة عن الفكر الشيوعي، وما يؤمنون به من أفكار اشتراكية وتوزيع للثروة، وغير ذلك من الأفكار الماركسية التي لا يتبناها المؤلف، وهي تعكس شعوره بالأسى من المد الشيوعي في مصر، ومصادرته للحريات ووقوفه ضد أي فكر يخالف ما يؤمنون به، وقد تعرضت أفكار المؤلف وآراؤه للمنع والتضييق، ولم تعرف طريقها للنشر في الصحف التي كانوا يسيطرون عليها، وقد أشرنا لشيء من ذلك عند حديثنا عن صورة الذات في سيرة حياتي.

وأما صورة علماء الأزهر فقد اقترنت عنده دائما وفي كل المواقف التي سردها في هذه السيرة، بضيق الأفق والجمود والسطحية والطمع وحب الدنيا، وقد مر بنا وصف المؤلف لهم بأقذع الأوصاف بسبب تطاولهم على الشيخ مصطفى عبد الرازق، واعتبارهم سببا في موته، بعد جلسة عاصفة بالأزهر لم يراعوا فيها مكانة الرجل ولا علمه، ومن العجيب أن هؤلاء الذين كانوا يتطاولون على الشيخ، ويطعنونه ويتجاوزون في حقه بعنف وغلظة وسفالة منقطعة النظير – كما يقول المؤلف – كانوا على رأس المشيعين للشيخ بعد وفاته، ويظهرون الحزن والبكاء عليه.[١٥٥]

وتظهر اللغة والألفاظ التي عبر بها المؤلف عن هؤلاء، عدم حياده وبغضه الشديد وازدراءه لهم. فحين هاجمه بعض الأزهريين وهو في لبنان، واتهم وهب أن ما يقوله في محاضراته هو دعوة من الكاتب للفينيقية، استخدم معهم أقذع العبارات، وأقسى أنواع الردود "فأية دعوة فينيقية في هذه المحاضرات، أيها الأزهريون الجهلة المضللون؟ هل رابعة العدوية والبسطامي والحلاج وابن عربي فينيقيون، يا أجهل من

أقلتهم الأرض؟"[١٥٦] وربما يعزى نفور المؤلف الشديد وبغضه لعلماء الأزهر، إلى مواقف شخصية أو اجتهادات بعض العلماء بشأن كتاباته أو فلسفته، ولا يخفى على أحد اختلاف المنهج وطرق التفكير عند الطرفين؛ فمنهج الأزهر منهج محافظ وهو الجهة المنوط بها الاجتهاد في مسائل الدين، بينما منهج الفيلسوف لا يلتزم بذلك فهو يؤمن بالحرية المطلقة والفردية وينفر من القيود والجمود، ومن ثم من الوارد جدا أن يحدث صدام وخلاف دائم في وجهات النظر بين الجانبين، لكن هذا كله لا يشفع للكاتب أن يصف الأزهريين جميعا بهذا الوصف السلبي، الذي يتسم بالحدة الشديدة والقسوة في الحكم وعدم الموضوعية.

وجاءت صورة اليهود سلبية وبغيضة لدى المؤلف في هذه السيرة، فنجد المؤلف يبرر أعمال النازية ضدهم، ويحملهم مسؤولية تعرضهم لأعمال عنف على يد هتلر، وهو لا ينطلق في ذلك من عدائه للدين اليهودي، فقد كان للمؤلف أصدقاء من المستشرقين اليهود، كما أنه رسم صورة منفرة لعلماء الأزهر الشريف أيضا، تؤكد على أنهلا يصدر في رأيه عن نظرة ضيقة أو متشددة، وإنما هو يبدي نفوره منهم لأسباب قومية بسبب احتلالهم لأرض عربية، وربما كان موقفه هذا بسبب تأييده لحركة مصر الفتاة، التي كانت لا تخفي انبهارها بشخصية هتلر، وربما كانت تلك النظرة بسبب العداء الذي لاحظه المؤلف خلال سفراته المتعددة، عند الغالبية العظمى من اليهود الذين التقاهم ومن يؤيدهم، وانحيازهم ضد العرب وقضاياهم "لم يعد عندي شك بعد أن شاهدت ما شاهدت، في أن اليهود يسيطرون على نيويورك سيطرة كاسحة تامة، ومن وراء نيويورك يسيطرون على الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية في الولايات المتحدة الأمريكية بأسرها"[١٥٧]

ولذلك نراه يحمل على عدد كبير من المستشرقين المؤيدين للصهيونية، ويتصدى لهم في المؤتمرات العلمية، ويكشف زيفهم وتعصبهم البغيض لليهود وانحيازهم ضد العرب والمسلمين. ومن هؤلاء: الكاتب المسرحي (يوجين أيونسكو)، والكاتبة نتاليا

ساروت، وريمون آرون، وغيرهم من الكتاب والسياسيين المعروفين.[١٥٨] يقول بدوي: "كان يحضر جلسات المؤتمر بعض اليهود، ويستفزون الحاضرين بطاقياتهم الصغيرة الموضوعة على رؤوسهم. وقد ضقت ذرعا بهذا المنظر، فاهتبلت فرصة بحث ألقي عن الترجمات العربية عن اليونانية، فعلقت عليه وأفضت في المقارنة بين دقة وأمانة الترجمات العربية، وبين عبث وزيف الترجمات العبرية عن العربية، واستشهدت خصوصا بالترجمات العبرية لمؤلفات ابن رشد، وكيف عبث بها المترجمون في القرون من الثالث عشر حتى الخامس عشر، وذكرت من الذاكرة شواهد لهذا العبث الفاضح والتزييف البشع، ولم يستطع أحد من الأساتذة اليهود الحاضرين، أن يرد بكلمة واحدة لقوة أسانيدي وتمكني من الموضوع"[١٥٩]

وربما قدم المؤلف صورة سلبية وبغيضة للغاية عن الولايات المتحدة الأمريكية بسبب ما لاحظه من سيطرة لليهود على مفاصل الحياة هناك، حيث لم يشعر المؤلف بأي ود تجاهها، في أثناء مشاركته في أحد المؤتمرات التي عقدتها جامعة هارفارد، وعبر عن نفوره منها، وأبدى انقباضه وخوفه الشديد من أجوائها بسبب ارتفاع معدل الجريمة فيها، وبسبب سيطرة اليهود على مفاصل الحياة في أهم مدنها: "نفوري من نيويورك عدم وجود المقاهي على النحو المعروف في فرنسا وألمانيا وإيطاليا وإسبانيا والنمسا وسويسرا وغيرها، كما أن المكتبات هناك وبيع الكتب أسوأ بكثير منها في أوربا، لذلك لم يعد إليها مرة ثانية."[١٦٠]

إن الملاحظ على صورة الآخر في هذا النمط، الذي يعبر فيه المؤلف عن مشاعره السلبية تجاه الأشخاص والمواقف، أنه لا يذكر رأيه في الشخص أو الواقعة التاريخية وصفا مجردا أو محايدا، وإنما يفسح المجال للذات للتعبير عن مشاعره تجاه هؤلاء الأشخاص، ويستخدم اللغة بصورة حادة شديدة القسوة، تنم عن تحقيره وازدرائه للآخر، واعتداده الشديد بنفسه وبمواقفه. فهو مثلا حين يذكر واقعة منافسة الدكتور أحمد فؤاد الأهواني والدكتور زكي نجيب محمود له على نيل وظيفة أستاذ، عندما كان

يعمل مستشارا ثقافيا بالسفارة المصرية بسويسرا، لا يذكر هذه الواقعة بصورة مجردة ومحايدة كما حدثت، ولكنه يختار عبارات حادة وقاسية تعبر عن ازدرائه للمنافسين له، وتقليله من شأنهما ومكانتهما العلمية، بدلا من أن يسردها بصورة عادية، تاركا المجال للقارئ لاستنتاج ما يراه بنفسه، والحكم على الموقف دون تدخل من المؤلف. يقول بدوي: "أما الشخصان اللذان تقدما لمنافستي، فأمرهما غاية العجب: فأولهما، وهو أحمد فؤاد الأهواني كان آخر طالب في ليسانس الفلسفة سنة ١٩٢٩، والثاني وهو زكي نجيب محمود تخرج في مدرسة المعلمين العليا سنة ١٩٣٠، وراح يكتب مقالات سطحية معظمها تلخيص بسيط ساذج لكتاب ول ديورنت: قصة الفلسفة، ولم يكن لأي واحد منهما أي إنتاج علمي في الفلسفة، يستحق الذكر حين تقدما للوظيفة المعلن عنها. لكنها هي المنفعة وخداع النفس وعدم الوعي بقدر النفس – قد حملت كليهما على التقدم لهذه الوظيفة. ولربما توهم كلاهما أن وجودي في الخارج – في سويسرا– سيجعل الجو خاليا لاختطاف ما لا يستحقانه أبدا"[١٦١]

والأمر نفسه تكرر عند حديثه عن زملائه في كلية الحقوق وخريجي كليات الحقوق بشكل عام، حيث لم تخل لغته من التهكم والسخرية منهم والازدراء لهم، فهم في نظره وصوليون وساعون إلى المناصب، ومن أجل ذلك تجدهم مستعدين لفعل أي شيء. وكذلك جاءت صورة رجال السلك الديبلوماسي، حيث يفتقرون للثقافة وللمعرفة والوطنية، وجل ما يعنيهم هو كيف يتباهون بملابسهم وطريقة الوقوف والجلوس ومراعاة البروتوكول "وترتيب الجلوس على موائد الطعام إلى آخر هذه التفاهات، وكأن المثل الأعلى للواحد منهم أن يكون رئيس جرسونات"[١٦٢]

أما صورة (الآخر) التي قدمها المؤلف بشكل محايد وموضوعي، فكانت كثيرة جدا في السيرة، وفيها تخلى المؤلف عن ذاتيته، ووصف العديد من المواقف والأشخاص بتجرد وحياد، على العكس مما رأيناه في الصورتين السابقتين، ولا شك أن

هذا الجزء مهم لأنه يقدم لنا صورة موضوعية للواقع والأشخاص، تعكس روح الباحث والمفكر والفيلسوف، ومن ثم يكون للمعلومة قيمتها وأهميتها لدى القارئ.

ويظهر هذا بوضوح في حديثه ذي الصبغة التاريخية عن المدن التي زارها، والأشخاص الذين حلل شخصياتهم وأعمالهم تحليلا علميا، ومن ذلك على سبيل المثال تحليله الحياة الليبية والرد على ما أطلق عليه الشخصية الليبية، حيث مكث المؤلف في ليبيا ما يقرب من ست سنوات في أثناء عمله بجامعة بنغازي، وقد مكنه ذلك من الاطلاع على الحياة الليبية ومعرفة أهم دقائقها، وقدم دراسة مستفيضة عن الحياة في ليبيا ولهجاتها المختلفة وأهم قبائلها، والمذاهب الدينية والطرق الصوفية وغير ذلك من المعلومات القيمة المتعلقة بليبيا. وقد لاحظ المؤلف فقر الثقافة الليبية، وقلة إسهامات الليبيين طوال التاريخ الإسلامي والعربي، على المستويات كافة؛ الثقافية والفكرية والسياسية، قياسا بما قدمته الدول العربية والإسلامية الأخرى، ولذلك تعجب من محاولة قادة ليبيا الجدد الترويج لما أسموه "بالشخصية الليبية"، منطلقين في ذلك من حادث تاريخي عارض؛ وهو انقلاب أحد الضباط الليبيين، واسمه (شيشونك) واستلاؤه على عرش مصر، وكان قائدا لإحدى فرق جيش الملك الذي عينه في هذا المنصب، فانقلب عليه واستولى على الحكم منه.[١٦٣]

ويرى الدكتور بدوي أن التشبث بمثل هذا الأمر يعد حماقة ووهما، منبعه الجهل والتخلف، لأن ما حدث هو انقلاب عسكري داخلي بقوة السلاح، يستوي في ذلك أن يكون الذي قام بالانقلاب مواطنا أصليا أو من أصل أجنبي، فقد ساعد تشي جيفارا فيدل كاسترو في الانقلاب الذي قام به في كوبا رغم أنه من الأرجنتين، ومع ذلك لم نسمع بأي أرجنتيني يزعم أن ما حدث في كوبا كان فتحا من فتوحات الأرجنتين أو انتصارا لأهلها، ومن ثم فإن هذا الحدث العارض لا يصلح أن يجسد ما يمكن أن يطلق عليه الشخصية الليبية، كما يروج لذلك الليبيون، فدعوى الشخصية الليبية متهافتة وليس لها أي سند من التاريخ.[١٦٤]

ولأن الدكتور بدوي كان كثير السفر والترحال، وجاب العديد من بلدان العالم، خاصة البلدان الأوربية، والتقى خلالها العديد من الشخصيات، فقد مكنه ذلك من تكوين صورة عميقة وشاملة عن تلك البلدان التي زارها، وهؤلاء الأشخاص الذين التقاهم. ولذلك لا نراه في سيرته مفتونا ولا مهووسا بالنموذج الغربي، كما أنه لا يقدمه بصورة سطحية وساذجة كما يفعل الكثيرون، فهو لا يتبنى آراء الكثير من المستشرقين، ولا يتابعهم في كل ما يقولون لأنه لم يكن يعاني عقدة النقص، بل نراه يناقشهم ويحاورهم ويكشف عن عوارهم ويظهر نقاط ضعفهم، فكم من مستشرق ذاع صيته وعمت شهرته، وانتشرت مؤلفاته على نطاق واسع، وهو لا يستحق هذه الشهرة العريضة، وقد حرص المؤلف على تقديم صورة موضوعية لهؤلاء، تضع الأمور في حجمها ونصابها الطبيعي. "ومن العبث غير المقبول إطلاقا أن تجد مؤرخا لفلسفة الإسكندر الأفروديسي، أو برقلس، أو ثامسطيوس أو أولفيادوس – يكتب عن هؤلاء دون أن يعرف ما اكتشف لهم من نصوص مفقودة في ترجمة عربية. ومن الأسف البالغ أن هذه هي حال كل المؤرخين الأوربيين الذين يكتبون الآن عن هؤلاء الشراح!! شيئا من الخجل إذن، أيها المغرورون الجهلاء الأدعياء!"[١٦٥]

ويقدم المؤلف صورة عميقة عن الحياة الثقافية والسياسية في فرنسا في الستينيات، وما أصاب المسرح بوجه خاص من انهيار، بعد أن سيطر عليه مسرح اللامعقول، الذي أوجده صمويل بكت ويوجين أيونسكو وأرابال وأدموف، ويصف ما قدموه بأنه عبث خالص، وانهيار عقلي وحضاري ونفساني منقطع النظير، ويقدم العديد من النماذج التي تدلل على وجهة نظره، ويقدم لها قراءة نقدية عميقة وناجزة.[١٦٦]

وعن سارتر واقتران اسمه بالوجودية، يقول المؤلف: إن وجوديته بعيدة كل البعد عن وجودية هيدجر، وهي خليط من التحليلات النفسية "ومنذ قراءتي له لم أشعر نحو

سارتر بأي تقدير من الناحية الفلسفية. وعددته مجرد أديب، وباحث نفساني يستند إلى منهج الظاهريات"[١٦٧]

وهو يرى أن الأساتذة الفرنسيين الذين يشرفون على الرسائل العلمية للأجانب، لا يتسمون بالصدق والإخلاص في إشرافهم، ولذلك تكون الرسائل التي يقدمها الباحثون الأجانب تحت إشرافهم ضعيفة ومهترئة وخالية من أي جهد، على العكس مما يبذله هؤلاء الأساتذة من جهد حقيقي، ويطبقونه من أصول المنهج العلمي عند إشرافهم على الطلاب الفرنسيين.[١٦٨]. كما يرى أن مستوى المناقشات للرسائل العلمية في فرنسا بشكل عام، لم يكن على مستوى السمعة والشهرة التي يحظى بها الأساتذة، فكثير من هؤلاء المناقشين لا يتكلمون إلا عن أمور تافهة سطحية لا علاقة لها بموضوع الرسالة: مثل الفهارس أو بعض أرقام صفحات المراجع.[١٦٩]

ويقيم المؤلف المؤتمرات العلمية التي يحضرها والمشاركين فيها تقييما دقيقا، فيصف الكثير من تلك المؤتمرات بأنها بلا جدوى، وأن المشاركين فيها لا يستعدون لها استعدادا جيدا، ويكتفي الكثير منهم بإلقاء الخطب المنبرية التي لا تكشف عن أي جهد.[١٧٠] ويقسم المشاركين في هذه المؤتمرات إلى أربعة أصناف: صنف منهم يحضر مجرد "سد خانات"، وصنف منهم يحضر من أجل كيل المديح الزائف والمبالغات الرخيصة في تمجيد الشخص المحتفى به، وصنف آخر يغطون في النوم طوال إلقاء المحاضر لبحثه، ثم يفيقون على التصفيق وعند تناول الطعام، وصنف آخر من الطفيليين والفضوليين الذين أدمنوا حضور هذه المؤتمرات عن طريق استجداء الدعوة، ويشير إلى أنه التقى هذه الأصناف جميعا في كل المؤتمرات التي حضرها.[١٧١]

وقد مكنه مكوثه في لبنان واحتكاكه بالحياة السياسية والثقافية والنخبة هناك لمدة عامين، من تحليل الأوضاع السياسية والاجتماعية بصورة دقيقة وموضوعية. فقد لاحظ في أثناء لقائه بزعيم الكتائب اللبناني (بيير الجميل) نبرة التعصب والاستعلاء

والكراهية، التي تملأ نفسه ونفوس من يمثلهم هذا الرجل ضد كل ما هو عربي وإسلامي، ولذلك توقع في حال تولي هذا الرجل وأمثاله لأي منصب رفيع في لبنان أن ينهار هذا البلد، ويسقط في أتون الفتنة "وقد صدقت نبوءتي هذه كل الصدق، ووا أسفاه! إن دولة لبنان الكبير التي أنشأها الانتداب الفرنسي سنة ١٩٢٠ كانت دولة مفتعلة تماما. أقلية تتحكم في أغلبية؛ وتوتر ديني شديد بين طوائفها؛ واستعداد لدول أجنبية كيما تتدخل وتسند فريقا ضد فريق؛ ونفاق ظاهري يستر وراءه كراهية قاتلة؛ وعصبيات أسرية تخوض فيما بين بعضها وبعض معارك طاحنة، واتجار بالسياسة، سلعته التأييد لمن يدفع أكثر من جانب حكومات أجنبية. فكيف يمكن لكيان معتقل كهذا أن يصبح دولة بالمفهوم السياسي الصحيح"[١٧٢]

وتظهر روح الباحث الموضوعية كثيرا في هذه السيرة، خاصة حين يتحدث المؤلف عن الأمور العلمية والبحثية والمؤتمرات العلمية. فقد اتخذ من حضوره مؤتمر المستشرقين في الهند، وسرده لأعمال المؤتمر وسيلة ومبررا لتقديم دراسة شاملة عن الهند، وصورة دقيقة عن مظاهر الحياة هناك، وهو حديث علمي خالص يعرض من خلاله آراءه بصورة موضوعية محايدة، مستعينا في ذلك بما لديه من معلومات ومراجع تاريخية تؤكد رأيه ووجهة نظره التي يتبناها "والمجتمع الهندي حافل بالمشاكل الاجتماعية، وعلى رأسها مشكلة الطوائف. فالهندوس ينقسمون إلى أربع طوائف: البراهمة أو رجال الدين، والكاسكريا أو رجال الحرب، والبيسيا أو الصناع والزراع، والسودرا أو العبيد. وخارج هذه الطوائف الأربع يوجد المنبوذون، وهم محرومون من كل الحقوق القانونية. هذا هو التقسيم النظري، أما عمليا فإن طوائف الهند لا حصر لها"[١٧٣] ويصف كلمات الزعيم الهندي (جواهر لال نهرو) في هذا المؤتمر وتأثيرها في نفسه وفي الحضور بأن "وقعها كان أفضل بعشرات المرات من ثرثرة (بشم) الباحث الإنجليزي في الهنديات والذي ألقى علينا محاضرة عامة تافهة"[١٧٤]

وجاءت صورة رجال الدين المسيحي، وخاصة صورة البابا شديدة الاختلاف عن الصورة النمطية المألوفة، فهم أبعد ما يكونون عن التواضع والمحبة التي أمر بها السيد المسيح، كما أن أكثرهم يتصف بالتعصب وإقصاء الآخر، وقد أشرنا من قبل لرأي المؤلف فيما يعرف بالحوار بين الأديان، حيث يرفض ذلك تماما لأن لدى الكنيسة قناعة بأنه لا توجد حقيقة خارج الكنيسة، فعلام يكون الحوار إذن؟ وقد رسم صورة مناقضة للبابا من خلال الاحتفالات الباذخة التي تقام في عيد الميلاد، ويرى أن ذلك يناقض جوهر الدين المسيحي، ولا يتفق مع تعاليم السيد المسيح. ففي احتفالات كنيسة القديس بطرس سنة ١٩٦٨، وقد قدر للمؤلف أن يشاهد موكب البابا، وهو مزين بأفخر الجواهر وأنفس الثياب، ويتربع على عرش يحمله ثلة من أجمل شباب روما، في شموخ وكبرياء وتعال، يصف المؤلف هذا الموكب ويقدم رؤية نقدية عميقة لهذا الإسراف وهذا التعالي وهذا البذخ "وما لهذا الإسراف في الترف والتحلي بأفخر الجواهر التي يزيد ثمنها على مائة مليون دولار؟ ألم يتأمل موعظة الجبل (إنجيل متى، الفصول: ٥-٧) وما قاله فيها يسوع: "لا تكدسوا كنوزا على الأرض، بل كدسوا كنوزا في السماء، وحيث يوجد كنزك يوجد قلبك" (٦: ١٦-٢١). "لماذا تهتمون بالملبس؟ انظروا إلى زنابق الحقول كيف تنمو: إنها لا تتعب نفسها ولا تغزل. وإني أقول لكم إن سليمان نفسه، في كل مجده، لم يلبس مثل واحدة منها" (٦: ٢٨-٢٩)"[١٧٥]

وقد يندرج في هذا الباب، محاولة تقييم المؤلف الموضوعية لتجاربه السياسية المتعددة، من خلال انتمائه لحركة مصر الفتاة ثم الحزب الوطني الجديد، وعمله في لجنة الدستور وعمله مستشارا ثقافيا في سويسرا، فقد مارس العمل السياسي في سن مبكرة، وكانت حصيلة هذه التجربة إدراكه للكثير من الحقائق ومنها: أن الأحزاب في مصر غير قابلة للتطور وممارسة العمل السياسي الحقيقي بسبب التيبس والجمود، وبسبب الصراعات التي ليس من ورائها طائل، كما أن الحياة الحزبية في مصر تقوم

على تحصيل المنافع العملية، وتلعب العصبيات دورا كبيرا في إعاقة نجاح التجربة الحزبية، كما أن معظم الأحزاب لا تتبنى أيديولوجية واضحة قائمة بذاتها تميز كل حزب عن الآخر، وأما الآفة الكبرى – كما يرى بدوي – فتتلخص في "أن الوصولية والنفعية هما الدافعان الأساسيان، إلى الانضمام إلى الأحزاب السياسية في مصر طوال القرن العشرين وحتى يوم الناس هذا. ولم يكن للمبادئ السياسية والوطنية أي أثر في انضمام كل أو جل المنتسبين إلى الأحزاب السياسية في مصر"[١٧٦]

وقدم المؤلف تقييما شاملا وموضوعيا لتجربته في العمل مستشارا ثقافيا في سويسرا، وتحدث عن تدخل الملحق العسكري في شؤون السفارة، وهذا يعد إخلالا بعمله الأصلي، وذكر رأيه في المبتعثين الحكوميين الذين يكونون عادة أفضل من المبتعثين على حساب أهلهم، كما تحدث عن أساليب بعض الطلاب الأقباط الخسيسة لتحقيق مآربهم بأقل مجهود: وذلك بأن يستدروا عطف أساتذتهم وانحيازهم، بادعاء أن الأقباط مضطهدون في مصر لأنهم مسيحيون، لهذا يطلبون من الأستاذ المسيحي أن يمنحهم الدكتوراه بأيسر الطرق.[١٧٧] ويرى أن لقاءات الديبلوماسيين في الحفلات لا طائل من ورائها، ولا تسهم في حل أية أزمة أو مشكلة، خاصة إذا كان الديبلوماسي جبانا وعاجزا عن التصرف بنفسه، وهو ما يميز الديبلوماسيين المصريين بصورة عامة كما يرى المؤلف.[١٧٨]

ويحلل بدوي الأوضاع العلمية والإدارية في الجامعات المصرية، وإدارة البعثات والسفارات المصرية والمناصب العليا والمهمة في مصر، وطريقة حصول أصحابها عليها، تحليلا دقيقا وموضوعيا أقرب للواقع، فيرى أن الكثير من تلك المناصب يحصل عليها أصحابها عن طريق النفاق والوصولية، وعن طريق الاتصالات الشخصية والعلاقات الاجتماعية الدنيئة "فواعجبا لما يجري في الإدارات الحكومية في مصر! إنه الإبقاء على التافه الهزيل، وإبعاد المجتهد الكفء. ومن هنا كانت سوق

الجهل والتفاهة في الحكومة المصرية رائجة؛ بينما أولو الاجتهاد والعلم والكفاءة مبعدون مخذولون"[١٧٩]

ويدلل المؤلف على صدق ما يقول، بتولي (محمود فوزي) وزارة الخارجية منذ عام ١٩٥٢م وحتى عام ١٩٧٠ ثم توليه رئاسة الوزراء في عهد الرئيس السادات، وهو بذلك يعد من أطول الوزراء عمرا في تولي الوزارة، ويعد مثالا صارخا لهذه الحالة المزمنة في مصر، حيث يوكل الأمر إلى ضعاف العقول والخبرة، ويحكي عنه العديد من المواقف التي تؤكد صحة رأيه فيه، ومنها عدم قدرته على الإجابة عن أسئلة الصحافيين حين سألوه عن أوضاع مصر بعد الحرب، وعجزه التام عن شرح وجهة النظر المصرية والتعبير عن الموقف المصري، والحديث بلباقة كما فعل وزير خارجية إسرائيل أمام مجلس الأمن، وخوفه من أن يدلي برأيه عن الموقف العراقي أمام الرئيس عبد الناصر، رغم أن الأخير هو الذي طلب رأيه في تلك القضية، فكان رده: إن الشخص الوحيد القادر على اتخاذ القرار الصحيح هو سيادة الرئيس "وهكذا أيقنت بأن وزير الخارجية المصري محمود فوزي ما هو إلا رجل معتوه جهول لا يدري في السياسة شيئا"[١٨٠]

وعلى الرغم من موقف المؤلف المعروف من جمال عبد الناصر والحقبة الناصرية، نراه يتحدث عن هزيمة يونيو عام سبعة وستين والعدوان الثلاثي على مصر حديث الباحث والمحلل الموضوعي، الذي يحاول استجلاء الموقف بصورة صحيحة ليضع يده على أسباب الهزيمة، ويرصد ردود أفعال الدول التي كان يتواجد بها، ورأي الأحزاب والأشخاص واستطلاعات الرأي الشعبية المؤيدة أو المعارضة لموقف إسرائيل في عدوانها على مصر، وهو يرى أن السبب الرئيس في الهزيمة، هو انشغال الجيش بالشأن الداخلي وبأمور السياسة، وتركه لمسائل القتال والحرب ورفع قدرات جنوده القتالية، ومغامرات القيادة السياسية غير المدروسة، وأكاذيب الإعلام وتضليله للرأي العام، وقد اعتبر بدوي الهزيمة في الحقيقة ليست هزيمة واحدة وإنما

هزيمتان: هزيمة مادية عسكرية، وأخرى معنوية مدمرة لكياننا. والثانية أنكى وأشد "وإن أول خطوة للإنقاذ هي الوعي بمدى الكارثة، والاعتراف الذاتي بالأخطاء الفاحشة التي ترتكبها القيادة السياسية والعسكرية، ومحاولة التغيير الجذري الشامل للأوضاع التي أدت إلى هذه الكارثة الفظيعة"[١٨١]

وكان موقفه رافضا للوحدة بين مصر وسوريا عام ١٩٥٨م، وطلب من السفير حين سأله عن رأيه في هذا الموضوع أن يسجل هذا الرأي كتابة، وكان مبرره في ذلك أن طلب الوحدة لم يصدر عن الشعب السوري، بل صدر عن العسكريين السوريين ومن يلوذ بهم من أحزاب صغيرة لا قيمة لها، وهم أصحاب مصالح شخصية من هذه الوحدة، لذلك تنبأ بعدم نجاحها واستمرارها، وهو ما حدث بالفعل ويؤكد على عمق نظرته وبعد نظره وتحليله للموقف بصورة موضوعية محايدة.[١٨٢]

وقدم المؤلف قراءة عميقة لتاريخ إيران القديم والحديث وللأوضاع السياسية والدينية والاجتماعية فيها، فهو يذكر أن إيران كانت سنية حين تحولت على يد (إسماعيل صفوي) للمذهب الشيعي، رغم أنه كان سنيا لكنه تشيع واستعان بعدد من المتصوفة لتثبيت أركان مملكته، وقام بتوسيعها وتحصينها حتى لا يكون خاضعا للدولة التركية، وقد دارت بينه وبين الأتراك معارك كثيرة حتى استتب الأمر للدولة الفارسية.[١٨٣]

ويتحدث عن الساسة الإيرانيين والاحتفالات الدينية بإيران، وهي تشغل معظم شهور السنة، ويقدم صورة موضوعية عن إيران والساسة الإيرانيين، حيث يحبون العلم والكتب ويهتمون باقتنائها، وبإقامة المكتبات الخاصة، التي تحتوي على مئات المخطوطات النادرة، ويتحدث باستفاضة عن شاعري إيران الكبيرين: حافظ شيرازي وسعدي، وهو يعد حافظ شيرازي واحدا من أعظم عشرة شعراء في تاريخ الإنسانية. ويعد حديثه المفصل عن إيران بحثا علميا مستفيضا، مزج فيه رؤيته الذاتية وشخصيته العلمية بخلاصة ما قيل عن تاريخ إيران كما ذكره المؤلف.[١٨٤]

خاتمة:

قام هذا البحث على فرضية أساسية؛ وهي أن كتاب السيرة الذاتية حين يقدمون على تدوين أحداث حياتهم الشخصية، ويسعون إلى تعرية أنفسهم أمام الآخرين، فإن هناك دوافع قوية تلح عليهم في ذلك. لأن الكتابة عن الذات – رغم ما تنطوي عليه من رغبة في الشهرة والأضواء وتمجيد الذات – مسألة غير مأمونة العواقب، حيث يكون كاتب السيرة الذاتية وفق الميثاق السير ذاتي في مرمى فضول القارئ، خاصة ذلك القارئ الذي يتلمس الأخطاء، ويبحث عن العيوب والهفوات، ولا يحسن التعامل مع النص السير ذاتي، باعتباره عملا فنيا يقوم على عنصرين متكاملين، هما: عرض الحقائق والوثائق المتعلقة بحياة الكاتب وبيئته، بالإضافة إلى عنصر آخر لا يستغني عنه النص السير ذاتي، وإلا تحول لمجرد معلومات وأخبار يمكن الحصول عليها من أي مصدر آخر، هذا العنصر هو: البناء الفني للنص السير ذاتي الذي لا يتقيد بالضرورة بالحقائق والمعلومات كما حدثت في الواقع، وإنما تخضع لضرورات الفن والخيال واختيار الكاتب لأحداث بعينها وحذفه لأخرى وفقا لطبيعة هذا البناء.

ومن أهم دوافع الكتاب لتدوين سيرهم الذاتية كما اتضح من هذه الدراسة؛ الرغبة في التعرف على النفس البشرية وتحليلها، بصورة عميقة لا تقف عند السطح الظاهر، وتقديم الكاتب لشهادته على العصر من واقع خبراته وتجاربه الذاتية. كما أن إسهامات كتاب السيرة الذاتية وجهودهم في تعرية الذات ودراستها بصورة أعمق تعد متممة لما قام به علماء النفس في هذا الباب، حيث بذلت العديد من المحاولات التي قصد أصحابها من خلالها، دراسة الذات والنفس البشرية دراسة علمية عميقة، وقد أمدت هذه الدراسات الكتاب بمعلومات مفيدة ونفيسة، أفادتهم في مقاربة الذات ومعرفتها بشكل أعمق، وساعدتهم في الكتابة عن أنفسهم وعن الآخرين بصورة أكثر عمقا.

وقد أوضحت الدراسة بعض الفوارق الجوهرية بين تقديم الكاتب لسيرته الذاتية، وتقديمه صورة عن هذه الذات في قالب سير ذاتي. حيث تتعدد صور الكتابة السيرية وأشكالها، لكنها تتفق على احتوائها على معلومات وحقائق تخص حياة الكاتب والبيئة التي نشأ فيها، أما صورة الذات فهي تعني تصور الكاتب عن نفسه وعن الآخرين، وقد تكون هذه الصورة صحيحة وقريبة من الصورة الواقعية، وقد تكون مغلوطة ومبالغا فيها، ويرجع هذا بالطبع إلى طبيعة كل كاتب وتصوره ورؤيته لذاته وللآخرين. وعلى القارئ أن يعي جيدا –وهذا دور مهم يجب أن يقوم به الناقد – أن السيرة الذاتية الفنية بكافة أشكالها، هي شكل من أشكال الإبداع الفني، يجب ألا ينحصر اهتمام القارئ فيه بالحصول على المعلومات والوثائق فحسب، وإنما عليه أن يراعي أن السيرة الذاتية عمل فني، يخضع لضرورات الفن، ولا يخلو من الخيال ومن تقديم تصورات ووجهات نظر خاصة بالمبدع، مثلما تقدم حقائق ومعلومات وأحداثا واقعية، خاصة إذا كانت السيرة الذاتية في قالب قصصي.

ومن خلال عملين سيريين للكاتب الكبير عبد الرحمن بدوي، حاولنا استجلاء صورة الذات والآخر فيهما، اتضح لنا أن صورة الذات اختلفت في هموم الشباب؛ تلك السيرة الروائية التي كتبها في مطلع شبابه، عن صورة الذات كما قدمها في سيرة حياتي التي كتبها في أخريات حياته، بعد أن اكتمال تجربته ونضجها، حيث جاءت صورة الذات في هموم الشباب ممزقة وعلى قدر كبير من الاغتراب، حاول صاحبها المواءمة بين مطالب الأنا الذاتية والأنا الاجتماعية، حتى لا يعيش في اضطراب وازدواجية، لكنه لم يفلح في ذلك بسبب انسحابه من الواقع وعيشه بين الكتب وقلة خبراته وتجاربه الواقعية. أما صورة الذات في سيرة حياتي فقد جاءت إيجابية، يشعر صاحبها بالرضا، بعد رحلة طويلة وممتدة حافلة بالإنجاز والتميز والتفرد، وقد أكدت الأحداث والمواقف التي رواها المؤلف على ذلك، لكن هذه الذات أيضا تجاوزت حد إعجاب صاحبها بإنجازه ونجاحه، إلى الشعور بالنرجسية والزهو وانعكس ذلك على

إطرائه الكبير لما قام به، وتحقيره لما قام به غيره، بالإضافة إلى الحدة والقسوة في عرض آرائه أحيانا.

وقد جاءت صورة الآخر مختلفة في العملين كذلك، فقد تحدث في هموم الشباب عن صورة الآخر، سواء كان هذا الآخر هو: المرأة، أو الأجنبي، أو جيل الشيوخ، وكان حديثه سلبيا عن جيل الشيوخ وعن المرأة، وقد يكون هذا مرتبطا بنظرة الفيلسوف كما بينت الدراسة. أما صورة الآخر في سيرة حياتي فقد تنوعت، وجاءت على أشكال مختلفة، منها الآخر القريب من النفس، الذي يظهر الكاتب قدرا كبيرا من التعاطف معه ويؤثره بكلمات المودة والثناء، والآخر البعيد والمنفر والسلبي، الذي حرص الكاتب على إظهار مشاعره السلبية وموقفه العدائي تجاهه، والآخر الذي قدمه المؤلف بشكل محايد، متأثرا في ذلك بطبيعته كباحث ومفكر وفيلسوف، فلم يظهر مشاعر حب أو بغض تجاهه، وإنما عرضه بشكل محايد وموضوعي.

– الهوامش:

[١]– د. أميرة حلمي مطر: عبد الرحمن بدوي فيلسوف الحضارة، مقالة ضمن الكتاب التذكاري عن الكاتب بمناسبة بلوغه سن الثمانين بعنوان: عبد الرحمن بدوي نجم في سماء الفلسفة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢م، إشراف: الدكتور أحمد عبد الحليم، ص ١٥٩

[٢]– محمود أمين العالم: كشف حساب مع الدكتور عبد الرحمن بدوي ومع نفسي، الكتاب التذكاري، ص ١٨٧، (مرجع سابق)

[٣]– د. شاكر عبد الحميد: الحلم والرمز والأسطورة – دراسات في الرواية والقصة القصيرة في مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م، ص ٩، ص ١١، ص ١١٤.(بتصرف)

[٤]– د. لطيف زيتوني: معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م، ص ١١٨

[٥]- داويت. ف. راينولد: ترجمة النفس، السيرة الذاتية في الأدب العربي، ترجمة: سعيد الغانمي، دار كلمة، أبو ظبي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م، ص ٩٦، ٩٧ بتصرف

[٦]- السابق: ص ٨

[٧]- د. عبد الرحمن بدوي: الموت والعبقرية، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٤٥م، ص ١١٠، ١١ بتصرف

[٨]- د. أسامة محمد البحيري: تشكيل الزمن السردي في السيرة الذاتية السعودية، مجلة علامات، المجلد السابع عشر، الجزء السادس والستون، ص ٤٥١

[٩]- د. عبد المحسن طه بدر: تطور الرواية العربية الحديثة في مصر (١٨٧٠م- ١٩٢٨م)، دار المعارف، مصر، الطبعة الرابعة، انظر صفحات: ٢٨٣ - ٢٩٢

[١٠]- السابق: ص ٢٩٥- ٢٩٩

[١١]- د. عز الدين إسماعيل: التفسير النفسي للأدب، مكتبة غريب، مصر، الطبعة الرابعة، ١٩٨٤م، ص ٢٤

[١٢]- السابق: ص ٢٤

[١٣]- د. ماهر شفيق فريد: عبد الرحمن بدوي(دراساته في الآداب الغربية)، مقالة ضمن الكتاب التذكاري عن الكاتب بمناسبة بلوغه سن الثمانين بعنوان: عبد الرحمن بدوي نجم في سماء الفلسفة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢م، إشراف: الدكتور أحمد عبد الحليم، ص: ٤٩٣ وقد ذكر الدكتور حسن حنفي وأكثر من باحث الرأي نفسه.

[١٤]- هموم الشباب: ص ٢٠

[١٥]- هموم الشباب: ص ٢٦

[١٦]- هموم الشباب: ص ١٣٤

[١٧]- هموم الشباب: ص ١٣٥، ١٣٦ بتصرف

[١٨]- هموم الشباب: ص ١٨١

[١٩]- د. محمد الباردي: عندما تتكلم الذات السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٥، ص ٣٣، ص ٣٤

[٢٠]- انظر: كتابة الذات دراسات في السيرة الذاتية: د. صالح معيض الغامدي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م

[٢١]– د. عبد الرحمن بدوي: سيرة حياتي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، الجزء الأول، ص ١٧٩

[٢٢]– د. لطيف زيتوني: معجم مصطلحات نقد الرواية، ص ١١٨، (مرجع سابق)

[٢٣]– د. صبري حافظ: (الرواية والحلقات القصصية وإشكاليات التجنيس)، فصول، القاهرة، مجلد ١٢، العدد الأول، ١٩٩٣م.

[٢٤]– فعل الشيء نفسه في الاعتراف للشاعر المعروف عبد الرحمن شكري، حيث ذكر في مقدمة اعترافه أن هذا الاعتراف يخص أحد أصدقائه أودعها لديه وهام على وجهه في مجاهل السودان وأوصاه بنشرها إن لم يرجع خلال عام. ولا شك أن هذا الصنيع يظهر تحفظ كتاب السيرة الأوائل من تقديم سيرتهم الذاتية بشكل مباشر ولذلك لجأوا إلى التمويه والخداع حتى يكونوا بمأمن من فضول بعض القراء وحتى يستطيعوا نشر بعض المواقف والأحداث الدقيقة والحساسة في حياتهم. انظر: الأعمال الكاملة للشاعر عبد الرحمن شكري، تحرير وتحقيق د. أحمد إبراهيم الهواري، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ١٩٨٨م، ص ٣١

[٢٥]– د. عبد الرحمن بدوي: سيرة حياتي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، الجزء الأول، ص ١٣٩

[٢٦]– هموم الشباب: ص ١٦٤، (مرجع سابق)

[٢٧]– هموم الشباب: ص ٦٧

[٢٨]– د. حسن حنفي: الفيلسوف الشامل، مسار حياة وبنية عمل، بحث ضمن بحوث الكتاب التذكاري الذي سبقت الإشارة إليه، ص ١٠٤

[٢٩]– هموم الشباب: ص ٨

[٣٠]– هموم الشباب: ص ٦

[٣١]– هموم الشباب: ص ١٩

[٣٢]– هموم الشباب: ص ١٥٠

[٣٣]– هموم الشباب: ص ٥٣

[٣٤]– هموم الشباب: ص ٥٤

[٣٥]– هموم الشباب: ص ٧٥

[٣٦]– هموم الشباب: ص ١٣٦

[٣٧]- هموم الشباب: ص ١٣٨

[٣٨]- هموم الشباب: ص ١٤٠

[٣٩]- سيرة حياتي: ج١، ص ١٥٠

[٤٠]- سيرة حياتي: ج ١، ص ٢٣

[٤١]- سيرة حياتي: ج ١، ص ٣١

[٤٢]- سيرة حياتي: ج ١، ص ٧٠

[٤٣]- سيرة حياتي: ج ١، ص ٧٦

[٤٤]- سيرة حياتي: ج ١، ص ٨٠

[٤٥]- سيرة حياتي: ج ١، ص ٨٩

[٤٦]- سيرة حياتي: ج٢، ص ٧٢

[٤٧]- صلاح عبد الصبور: حياتي في الشعر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، ١٩٩٥م، ص ٦

[٤٨]- السابق: ص ٧

[٤٩]- قسم الطبيب النفسي الألماني كرتشمر الناس إلى ثلاثة أنماط بحسب التكوين الجسمي، فهناك النمط البدين والنمط الواهن والنمط الرياضي إضافة إلى النمط المختلط الذي لا يمكن تصنيفه تحت أحد هذه الأنماط. وهو يرى أن هناك علاقة بين التكوين الجسماني والحالات المزاجية التي قسمها بدوره إلى نمطين، هما: النمط الدوري والنمط الفصامي. ويظهر الشخص ذو النمط الدوري تقلبات كثيرة في حالته المزاجية بين حالة الانشراح وحالة الاكتئاب، ويميل الشخص ذو المزاج الفصامي إلى الانطواء والانسحاب من العلاقات الاجتماعية. وذهب كرتشمر إلى أن الأفراد الذين لهم مزاج دوري يميلون إلى أن يكونوا قصارا وبدينين، أما أصحاب المزاج الفصامي فيميلون إلى أن يكونوا نحافا. والشيء نفسه فعله شلدون مع تغييرات طفيفة، حيث قسم الناس بدوره إلى ثلاثة أنماط ولكن بحسب تكوين الجسم وليس بحسب صورة الجسم وهيئته. فهناك النمط الداخلي التركيب (الحشوي)، ويتميز صاحبه بالسمنة ونمو الأحشاء والنعومة والمظهر المستدير، ويميل صاحب هذا التكوين إلى أن يكون اجتماعيا، معتدل المزاج، يحب الاسترخاء والراحة ويحب المتعة وكثرة الأكل. وهناك النمط المتوسط التركيب (العظمي)، ويتميز بقوة العظام والعضلات والجسد الرياضي، ويميل صاحب هذا النمط إلى العدوانية وعدم الاهتمام بمشاعر الآخرين كما يميل للمغامرة وحب السيطرة. وهناك النمط

الخارجي التركيب (الجلدي)، ويتميز صاحبه بعظم طويل ورقيق وعضلات ضعيفة وجسم نحيل، ويميل صاحب هذا النمط إلى تسجيل انفعالاته ومشاعره، وهو يحب العزلة والسرية وتأمل الذات.وقد لقيت هذه النظريات انتقادات واسعة من علماء النفس، فالارتباط بين النمط الجسمي والنمط المزاجي قد يعكس رأي الباحث وانحيازه أكثر مما يعبر عن ارتباطات حقيقية وصادقة. وعلى فرض وجود علاقة بين النمطين، فلا يعني هذا بالضرورة أن أحدهما سبب للآخر، فمن الجائز أن يكون التكوين الجسمي والمزاج متأثرين بعوامل أخرى مثل الإفرازات الهرمونية، أو أن الشخص يتصرف بطريقة معينة لأن الناس تتوقع منه ذلك. انظر: د. محمد عثمان نجاتي: علم النفس والحياة (مدخل إلى علم النفس وتطبيقاته في الحياة)، دار القلم، الكويت، الطبعة ٢١، ٢٠٠٢م، ص ٣٥٧- ٣٦١، (بتصرف)

[٥٠]- د. عبد الرحمن بدوي: الموت والعبقرية، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٤٥م، ص ٩، ص١١، ص ١١٤، (بتصرف)

[٥١]- السابق: ص ٣٦١، ص ٣٦٢ (بتصرف)

[٥٢]- د. مصطفى سويف: الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة، دار المعارف، الطبعة الرابعة، ١٩٨١م، ص ٨٣

[٥٣]- السابق: ص ٨٤

[٥٤]- د. محمد عثمان نجاتي: علم النفس والحياة، ص ٣٦٧، (مرجع سابق)

[٥٥]- السابق: ص ٣٧٠

[٥٦]- السابق: ص ٣٧٠

[٥٧]- السابق: ص ٣٧٤

[٥٨]- السابق: ص ٣٧٤

[٥٩]- د. شاكر عبد الحميد: الأسس النفسية للإبداع الأدبي في القصة القصيرة خاصة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م، ص ١٢٨

[٦٠]- السابق: ص ١٢٩

[٦١]- السابق: ص ١٥٤

[٦٢]- د. شاكر عبد الحميد: الغرابة، المفهوم وتجلياته في الأدب، عالم المعرفة، الكويت، العدد ٣٨٤، يناير ٢٠١٢م، ص ١١٥، ١١٦ (بتصرف)

[٦٣]- السابق: ص ١١٦

[٦٤]- السابق: ص ١٢٠-١٢٤ (بتصرف)

[٦٥]- هموم الشباب: ص ٥

[٦٦]- هموم الشباب: ص ١٧٣

[٦٧]- هموم الشباب: ص ٨

[٦٨]- هموم الشباب: ص ١٨

[٦٩]- هموم الشباب: ص ٢٧

[٧٠]- هموم الشباب: ص ٣٦

[٧١]- هموم الشباب: ص ١٣

[٧٢]- هموم الشباب: ص ٧٣

[٧٣]- هموم الشباب: ص ١٤٠، يقول الراوي عن نفسه، وقد مر بنا في متن الدراسة في أثناء الحديث عن البناء السير ذاتي في السيرة: عرفت الإيمان الملتهب حتى صرت جمرة تحترق بنار الحب الصوفي الإلهي، وعاينت الإلحاد العرم فلم تفلت من سيفه البتار عقيدة ولا دين: حتى نعتني الناس حينا بالولاية والقداسة، وحينا آخر بالكفر الأكبر، وكنت في كليهما مخلصا مندفعا عنيفا، كعادتي في كل شيء. ص ١٤٠

[٧٤]- هموم الشباب: ص ١٥٠

[٧٥]- هموم الشباب: ص ١٣٤

[٧٦]- ذكر المؤلف من صور الضعف والتردي والسطحية التي تدل على الخواء الروحي، وافتقاد الشباب للقدوة وغياب الهوية وعدم وضوح الرؤية لديهم، الكثير من المظاهر، وأبرزها تفسير الشيوخ للأفكار والمبادئ السياسية والدينية والأدبية على هواهم، وتشويههم لها، وتقديمهم لنماذج ممسوخة مشوهة تعبر عن انحراف فطرتهم وفهمهم العليل ونفاقهم، ومن الجدير بالذكر أن رأي الكاتب في هذه القضية يتفق مع رأي الشاعر عبد الرحمن شكري في هذا الشأن، حيث ذكر رأيه السلبي في الشباب المصري في مقدمة اعترافه الذي كتبه سنة ١٩١٦م، وهو ما يؤكد على ما ذكرناه في الجزء الخاص بدوافع الكاتب لتدوين سيرته الذاتية خاصة وهو في هذه المرحلة العمرية. انظر: هموم الشباب: ص ١٣٦- ١٤٠. وانظر: عبد الرحمن شكري: المؤلفات النثرية الكاملة، المجلد الأول، تحرير وتقديم: د. أحمد إبراهيم الهواري، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ١٩٨٨م، ص ٣١

[٧٧]– هموم الشباب: ص ١٤١

[٧٨]– هموم الشباب: ص ١٩

[٧٩]– هموم الشباب: ص ٣٧

[٨٠]– هموم الشباب: ص ٥٣

[٨١]– هموم الشباب: ص ١٤٧

[٨٢]– انظر الجزء الأول من السيرة صفحات ٤١– ٥٥ حيث يتحدث عن قراءته المبكرة عن نيتشه وشوبنهور وكان في السنة الأخيرة من المرحلة الابتدائية، وامتعاضه من أسلوب العقاد وسطحيته في التناول، ودراسته للفلسفة وقراءته لها من أصولها ومراجعها الأصيلة من خلال الدكتور شفيق العاصي الحاصل على الدكتوراه من جامعة فيينا عام ١٩٣٠م، واهتمامه بالسياسة وهو في سن الخامسة عشرة متأثرا في ذلك بوالده في تفضيله لحزب الأحرار الدستوريين على الوفد وغيره من الأحزاب ومن خلال انطباعاته الشخصية أيضا، حيث كان كبار أهل الفكر والعلم ينتمون لهذا الحزب، مثل: أحمد لطفي السيد وعبد العزيز فهمي ومحمد حسين هيكل ومصطفى وعلي عبد الرازق وطه حسين حتى عام ١٩٣٢م، فضلا عن أن زعماء الأحرار الدستوريين كانوا على مستوى رفيع من الثقافة: عبد الخالق ثروت وإسماعيل صدقي، وعلي ماهر، على العكس من الوفد الذين كان زعماؤه وكبار رجاله يتسمون بالجهل وقلة البضاعة باستثناء عثمان محرم ومكرم عبيد. سيرة حياتي: ص ٤٧، كما بدأ إعجابه المبكر بحركة مصر الفتاة التي أسسها أحمد حسين وفتحي رضوان ومحمد صبيح وكان عمره آنذاك ستة عشر عاما، فكان يدافع عنها ضد خصومها ويدعم الحركة بكل ما أوتي من قوة. سيرة حياتي: ص ٥٥.

[٨٣]– سيرة حياتي: ج١، ص ٥٦

[٨٤]– سيرة حياتي: ج١، ص ٦٤– ٦٩

[٨٥]– سيرة حياتي: ج١، ص ١١٦. تعددت صور الإعجاب بالذات وما أنجزه المؤلف خلال مسيرته الحافلة، وليس من همي هنا استقصاء المواضع التي تدل على ذلك حيث يمكن الرجوع إليها داخل السيرة. ولكن أردت الإشارة من وراء ذلك إلى إحدى صور الذات التي قدمها لنا المؤلف.

[٨٦]– سيرة حياتي: ج١، ص ١٩٩

[٨٧]– سيرة حياتي: ج١، ص ٢٠٥ – ٢٠٧

[٨٨]– سيرة حياتي: ج١، ص ٣٣٣

[٨٩]- سيرة حياتي: ج١، ص ٣٣٦

[٩٠]- د. عز الدين إسماعيل: التفسير النفسي للأدب، ص ٢٨، (مرجع سابق)

[٩١]- سيرة حياتي: ج١، ص ١٧٩

[٩٢]- سيرة حياتي: ج١، ص ١٨٠

[٩٣]- سيرة حياتي: ج ١، ص ٢٠٦

[٩٤]- سيرة حياتي: ج١، ص ١٨٠

[٩٥]- سيرة حياتي: ج١، ص ١٨١

[٩٦]- سيرة حياتي: ج١، ص ١٨٢. تزخر السيرة بالكثير من الأحداث والذكريات التي يمكن إدراجها في باب النرجسية وإعجاب المؤلف الشديد بالذات. والباحث هنا يفرق بين النرجسية والغرور ونزعة الاستعلاء، فقد تكون النرجسية مقبولة خاصة حينما تتعلق بالإنتاج الفكري للكاتب وليس بشخص الكاتب، وقد يكون الدافع للنرجسية ثقته بنفسه وبما قدمه وما أنجزه في هذا المجال ولم يسبق إليه، خاصة إذا قوبل ذلك بالجحود والنكران وعدم الاعتراف بفضله ودوره الرائد في هذا المجال. وقد اتفقت آراء تلامذة الدكتور بدوي ومعاصريه، سواء من اتفقوا أو اختلفوا معه، على تميزه وتأثير ما قدمه، ويمكن الرجوع إلى الكتاب التذكاري الذي طبع بمناسبة بلوغه الثمانين من عمره حيث أجمع هؤلاء الباحثون على التقدير الكبير لأعمال الدكتور بدوي وشخصه. وقد كان لكتاباته تأثير كبير بالفعل على النخبة والساسة والشعراء، وقد ذكروا هم ذلك وكان من بين هؤلاء الضابط البطل أحمد عبد العزيز الذي استشهد في فلسطين سنة ١٩٤٨م وكان قد فرض على طلابه قراءة كتاب المؤلف عن نيتشه، وأوصى بأن يكتب على قبره هذه العبارة التي أوردها المؤلف في كتابه عن نيتشه: لكي تجني من الوجود أسمى ما فيه عش في خطر. سيرة حياتي، ج ١، ص ١٥٢

[٩٧]- سيرة حياتي: ج ١، ص ١١٧

[٩٨]- سيرة حياتي: ج ١، ص ١٣٤

[٩٩]- سيرة حياتي: ج ١، ص ١٣٩

[١٠٠]- سيرة حياتي: ج ١، ص ١٥٥. المواقف التي سردها المؤلف وتشير إلى شخصيته العنيدة وإصراره على رأيه والتشبث بها كثيرة جدا، ومنها: رفضه لقطع إجازته بناء على خطاب من مكتب العميد عبد الوهاب عزام آنذاك، حين كان في بيروت للمشاركة في بعض الفعاليات والاحتفالات الدينية. ج١ ص ١٥٩، وكذلك إصراره على حضور أحد دروس راهب لبناني يدعى الأب لاتور

ومناقشته أمام طلابه بشأن ما قاله هذا الراهب عن ديانة معاوية بن أبي سفيان حيث زعم أنه كان مسيحيا معتمدا في ذلك على معلومة أوردها المستشرق يوليوس فلهوزن " وفعلا حضرت محاضرته التالية، فبدأها بتقديم اعتذار عن سوء فهمه للنص وبشكري أنا على تنبيهي له على ذلك" ج ١، ص ١٦٥. ومن ذلك أيضا إصراره على الحصول على حقه في وظيفة أستاذ ذي كرسي بعد انتقاله لجامعة عين شمس وتربص المتربصين به ووجود واحد من ألد أعدائه والحاقدين عليه – على حسب وصفه – في لجنة اختيار صاحب هذه الدرجة" وهكذا صرت أستاذا ذا كرسي في يناير سنة ١٩٥٨م" ج ١، ص ٢٢٦. وحين عمل مستشارا ثقافيا بسويسرا، أصر على الاستقلال عن السفير ومنعه من التدخل في شئون المكتب الثقافي والبعثة التعليمية. ج ١، ص ٢٨٠. بل إنه يتحدث عن فترة الستينيات وأنها كانت من أخصب الفترات في حياته رغم الإحباطات والظلام الذي يخم على مصر في أثناء الحكم الناصري، فكان إصراره ودخوله في تحد مع المعوقات سببا في إنجازه لأهم أعماله في تلك الفترة. ج ١، ص ٣٥١. وعندما أحكم الرقابة سلطانها وسطوتها، وكان الشيوعيون الذين يستولون على كل أدوات الإعلام بالمرصاد لكل صاحب فكر حر، اتخذ الكاتب من أسلوب الحكيم والتعريض وسيلة لنشر فكره " وبعض هذه الكتب قد قصدت منه إلى مقاومة المد اليساري الذي فرضه عبد الناصر ومن ورائه الاتحاد السوفييتي وأبنائه في مصر" ج ١، ص ٣٥٤. ومن ذلك أيضا دفاعه المستميت عن الوجودية وإصراره على نشرها والتحمس لها وإظهار حقيقة هذه الدعوة وتصديه للجهلة والسطحيين الذين لا يعرفون من الوجودية سوى بعض المظاهر التي لا تمثلها. ج ١، ص ٣٦٨. ومن ذلك قناعته وإصراره على عدم جدوى ما يسمى بحوار الأديان، وقد ذكر ذلك للأب جورج شحاتة قنواتي وللكاردينال مارلا حين التقاه في الفاتيكان، يقول بدوي في هذا الصدد:" والرأي النهائي عندي، هو أنه ينبغي عدم إجراء أي حوار بين الأديان المختلفة، لأن الحوار سيؤدي قطعا إلى إثارة المنازعات وإلهاب العصبيات" ج١، ص ١٨٢.

[١٠١]– ذكر المؤلف بالامتنان والاعتراف بالفضل عددا من أساتذته، وعددا من الساسة والأصدقاء، ومنهم الرئيس السادات لأنه كان سببا في إطلاق سراحه من سجون ليبيا. ج ٢، ص ٢٤٩، ومن الأصدقاء تحدث عن فؤاد عسل وعثمان عسل وعبد القادر رزق حيث كانت بينهم صداقة قوية. ج ١، ص ٨٢

[١٠٢]– يغلب على حديث الدكتور بدوي العاطفي والوجداني وكل ما له علاقة بالمرأة في سيرة حياتي، الترفع والتسامي وعدم التوقف عند الأمور الحسية. ومن أوائل تجاربه العاطفية التي ذكرها تعرفه إلى

فتاة ألمانية في السادسة عشرة من عمرها، ولم يقضيا معا وقتا طويلا، لأن أهلها قرروا الانتقال إلى الريف، فكانت تجربة سريعة وقصيرة أقرب إلى تجارب الشعراء التي تلهمهم وتغذي خيالهم. يقول عن هذه التجربة: ورحت أناجيها في الخيال بهذه القصيدة:

شعلة الحب التي أوقدتها نورت للقلب أسباب الحياه

بسمة العينين وحي وسنا وغذاء النفس من شهد الشفاه. ج ١، ص ٨٣

ويذكر الدكتور بدوي علاقاته النسائية بألمانيا والنمسا فيقول:" كان العفاف أقوى رقيب علينا، فلا نتبادل أكثر من لمسات الأدي أو المخاصرة في المشي. وحرمنا على أنفسنا ما يتجاوز ذلك، حتى القبل الخفيفة. وكان يحجزني في ذلك الوقت عفاف غريب، الباعث إليه هو تقديس المرأة والسمو بمعنى الحب. وكنت أعتقد أن القبل وما بعدها تدنس الحب، وتسقط المحبوبة في عيني" ج ١، ص ٩٩. بل إنه وهو يحكي قصة تعرفه إلى فتاة نمساوية اسمها أوجستا وتعرفه إليها وحديثه معها، تشعر أن اللقاء بينهما كان عبارة عن دردشة علمية، يستعرض كل منهما معرفته وثقافته وذوقه الشخصي أمام الآخر. ج ١، ص ١٠٠. ويقول عن ذكرياته في حديقة اللوكسمبور:" وكم قضيت ساعات في هذا الموضع مع فتيات من السويد أو النرويج أو النمسا أو هولندا، نتبادل الأحاديث العذبة الرقيقة" ج١، ص ١٨٧. وهذا بلا شك يعكس الصورة الحقيقية التي حرص الكاتب على نقلها عن نفسه، حيث كانت حياته وقفا على العلم والكتابة والإبداع، وهو ما أظهرته السيرة بوضوح.

[١٠٣]– سيرة حياتي: ج ١، ص ٣٩

[١٠٤]– سيرة حياتي: ج١، ص ١٥٦

[١٠٥]– سيرة حياتي: ج ١، ص ١٥٧

[١٠٦]– سيرة حياتي: ج ١، ص ٢٢٩

[١٠٧]– سيرة حياتي: ج ١، ص٣٥٥

[١٠٨]– سيرة حياتي: ج ١، ص ١٨٤

[١٠٩]– د. شاكر عبد الحميد: الحلم والرمز والأسطورة (دراسات في الرواية والقصة القصيرة في مصر): ص ٣٢٣، (مرجع سابق)

[١١٠]– هموم الشباب: ص ٥

[١١١]– هموم الشباب: ص ٥٣

[١١٢]– هموم الشباب: ص ٧٩. من خلال المذكرات التي اطلع الراوي عليها، تظهر صورة أخرى لفتيات الليل، حيث لم يكن جميعا على النحو الذي يتصوره الرجال، فقد بقيت سرفناز في عذاب ضمير، رغم انهماكها في العمل في الملاهي والمراقص وارتمائها في أحضان الرجال" إلهي! أنا الآن في حمى دائمة لا أعلم كيف الخلاص منها. فهل تتداركني برحمة منك، وإن كنت قد لفظتني من سعة رضوانك أنا وأمثالي ممن حلت بهن لعنتك وتخطفتهن الشياطين" هموم الشباب: ص ١١٥. وجاء على لسان صديقتها:" أما القلب، على الرغم من كل ما حدث لي حتى اليوم، فقد ظل طاهر العنصر كريم الجوهر، لكنه من فرط ما أبهظته الحياة قد خبا نوره وخمد لهيبه" هموم الشباب: ص ١١٦. ولا يخلو كلامهم من الندم ومحاولة توجيه النصح للفتيات المغرر بهن حتى لا يقعن في نفس المصير:" آه لو عرفت كل فتاة ماذا سيؤول إليه أمرها حينما تغريها الحياة باقتطاف الثمرة المحرمة وهي في مطلع الشباب الغافل، إذا لما بذلت نفسها لكائن من كان، ومهما يكن الثمن" هموم الشباب: ١١٦، وتضيف في ندم:" أألوم نفسي على أنني لم أحسب للواقع حسابا، فسعيت وراء آمال أقمتها على أساس قيم أنا التي وضعتها دون أن أستشير واقع الحياة فيها، أو على الأقل أراجعه؟ أم ألوم المجتمع والحياة على أنهما لم يستمعا لي ولم يحفلا بي؟" هموم الشباب: ص ١١٧ وكثيرا ما عبرت سرفناز في مذكراتها عن حقيقة مشاعرها الكارهة لهذا العمل، حيث تعتبر المرقص بمثابة المقبرة، وبيت أهلها الذي فارقته بأنه جنة النعيم الذي لا تجد الراحة والعزاء من متاعب الدنيا سوى فيه. هموم الشباب: ص ١١٧

[١١٣]– هموم الشباب: ص ٥٢

[١١٤]– هموم الشباب: ص ٥٦

[١١٥]– هموم الشباب: ص ٢٣

[١١٦]– هموم الشباب: ص ٢٣، يلاحظ أن العلاقة بين الفيلسوف والمرأة علاقة سيئة للغاية، وهذا السوء قد امتد لسنوات طويلة، على العكس من العلاقة بين المرأة والأديب وبينها وبين الموسيقار، وربما يرجع ذلك إلى طبيعة الفلسفة حيث تبحث الفلسفة فيما هو عام ومجرد، وما يرتفع فوق الحس والمحسوسات، ومن هنا جاء موقف الفيلسوف المعارض، بل المحتقر أحيانا للمرأة، التي كثيرا ما ينظر إليها على أنها رمز للحس والجسد والحياة الحسية الجزئية بصفة عامة، فهو يعتقد أنها تشده إلى الأرض، في الوقت الذي يريد فيه التحليق فيما وراء الطبيعة حتى يبني لنفسه نسقا فلسفيا عاما. انظر: د. إمام عبد الفتاح إمام: أفلاطون والمرأة، دار التنوير، بيروت، ٢٠٠٩م، ص ٨

[١١٧]- هموم الشباب: ٦١

[١١٨]- د. إمام عبد الفتاح إمام: أفلاطون والمرأة، دار التنوير، بيروت، ٢٠٠٩م، ص ١٦٣

[١١٩]- هموم الشباب: ص ١٣٢. وصف المؤلف الأجانب في أكثر من موقف بالابتزاز واستنفاد كل مورد للدول التي يستعمرونها بحيث يصير المصريون وغيرهم من الشعوب المغلوبة على أمرهم عندهم مجرد أجراء، هموم الشباب: ص ٦٣

[١٢٠]- هموم الشباب: ص ١٤٢

[١٢١]- هموم الشباب: ص ١١٤.

[١٢٢]- هموم الشباب: ص ١٣٥

[١٢٣]- هموم الشباب: ص ١٣٠

[١٢٤]- هموم الشباب: ص ١٣٦

[١٢٥]- هموم الشباب: ص ١٣٧- ١٤١، (بتصرف)

[١٢٦]- هموم الشباب: ص ١٦٨

[١٢٧]- هموم الشباب: ص ١٧٣

[١٢٨]- هموم الشباب: ص ١٧٥

[١٢٩]- هموم الشباب: ص ١٧٧

[١٣٠]- سيرة حياتي: ج ١، ص ٦٠

[١٣١]- سيرة حياتي: ج ١، ص ٦١

[١٣٢]- د. حسن حنفي: الفيلسوف الشامل، من الكتاب التذكاري، ص ٢٥،(مرجع سابق)

[١٣٣]- سيرة حياتي: ج ١، ص ٦١

[١٣٤]- سيرة حياتي: ج ١، ص ٦٢

[١٣٥]- سيرة حياتي: ج١، ص ٦٩

[١٣٦]- سيرة حياتي: ج١، ص ٥٧

[١٣٧]- سيرة حياتي: ج ١، ص ١٧١

[١٣٨]- سيرة حياتي: ج١، ص ١٢٣

[١٣٩]- انظر: سيرة حياتي: ج١، ص٧٤، ص ٧٧، ص ١٣١، ص ٤٥ ، ص ٤٩، ص ٥٢، ص ١٩٦، ج ٢، ص ٢٥٣

[١٤٠]- سيرة حياتي: ج١، ص ٢٨
[١٤١]- سيرة حياتي: ج١، ص ١٣٣
[١٤٢]- سيرة حياتي: ج١، ص ١٣٣
[١٤٣]- سيرة حياتي: ج١، ص ٥١
[١٤٤]- سيرة حياتي: ج١، ص ٥١
[١٤٥]- سيرة حياتي: ج١، ص ١٥٤
[١٤٦]- سيرة حياتي: ج١، ص ١٦٠
[١٤٧]- سيرة حياتي: ج١، ص ٢١٤
[١٤٨]- سيرة حياتي: ج١، ص ٤٩
[١٤٩]- سيرة حياتي: ج١، ص ٣٢٥
[١٥٠]- سيرة حياتي: ج١، ص ٣٥١
[١٥١]- سيرة حياتي: ج١، ص ٣٦٢
[١٥٢]- سيرة حياتي: ج١، ص ٣٧٣
[١٥٣]- سيرة حياتي: ج٢، ص ٢٣٨
[١٥٤]- سيرة حياتي: ج١، ص ٣٧١
[١٥٥]- سيرة حياتي: ج٢، ص ٢٣٩
[١٥٦]- سيرة حياتي: ج١، ص ١٦٦
[١٥٧]- سيرة حياتي: ج٢، ص ٢٣٣
[١٥٨]- سيرة حياتي: ج٢، ص ص٦٦
[١٥٩]- سيرة حياتي: ج٢، ص ٢٣٣
[١٦٠]- سيرة حياتي: ج٢، ص ٢٣٦، ٢٣٧
[١٦١]- سيرة حياتي: ج١، ص٢٢٧
[١٦٢]- سيرة حياتي: ج١، ص ٢٤٩
[١٦٣]- سيرة حياتي: ج٢، ص ١٦٨
[١٦٤]- سيرة حياتي: ج٢، ص ١٦٨
[١٦٥]- سيرة حياتي: ج٢، ص ١٠

[١٦٦]- سيرة حياتي: ج٢، ص ٣٠
[١٦٧]- سيرة حياتي: ج١، ص ١٨٣
[١٦٨]- سيرة حياتي: ج٢، ص ١٥
[١٦٩]- سيرة حياتي: ج١، ص ٢٠٣
[١٧٠]- سيرة حياتي: ج٢، ص ٢٥٨
[١٧١]- سيرة حياتي: ج٢، ص ٢٥٩
[١٧٢]- سيرة حياتي: ج٢، ص ١٧٤
[١٧٣]- سيرة حياتي: ج١، ص ٣٦٩
[١٧٤]- سيرة حياتي: ج١، ص ٣٦٥
[١٧٥]- سيرة حياتي: ج٢، ص ٢٠٢
[١٧٦]- سيرة حياتي: ج ١، ص ٢٢٣
[١٧٧]- سيرة حياتي: ج١، ص ٢٨٠
[١٧٨]- سيرة حياتي: ج١، ص ٢٨٢
[١٧٩]- سيرة حياتي: ج١، ص ٢٣٦
[١٨٠]- سيرة حياتي: ج ١، ص ٢٤٠
[١٨١]- سبرة حياتي: ج١، ص ٢٤٦
[١٨٢]- سيرة حياتي: ج١، ص ١٥١
[١٨٣]- سيرة حياتي: ج٢، ص ٢٧٤
[١٨٤]- سيرة حياتي: ج٢، ص ٣٥٥

أهم المصادر والمراجع:

– د. عبد الرحمن بدوي: سيرة حياتي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، الجزء الأول.

– د. عبد الرحمن بدوي: سيرة حياتي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، الجزء الثاني.

– د. عبد الرحمن بدوي: هموم الشباب، وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الثالثة، ١٩٧٧م.

– د. أسامة محمد البحيري: تشكيل الزمن السردي في السيرة الذاتية السعودية، مجلة علامات، مجلد ١٧، ج٦٦، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ٢٠٠٨م.

– د. إمام عبد الفتاح إمام: أفلاطون والمرأة، دار التنوير، بيروت، ٢٠٠٩م.

– د. أميرة حلمي مطر: عبد الرحمن بدوي فيلسوف الحضارة، مقالة في كتاب تذكاري بعنوان: عبد الرحمن بدوي نجم في سماء الفلسفة، إشراف الدكتور: أحمد عبد الحليم عطية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢م

– داويت. ف. راينولد: ترجمة النفس (السيرة الذاتية في الأدب العربي)، ترجمة: سعيد الغانمي، دار كلمة، أبو ظبي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.

– د. شاكر عبد الحميد: الأسس النفسية للإبداع الأدبي في القصة القصيرة خاصة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م.

– د. شاكر عبد الحميد: الحلم والرمز والأسطورة (دراسات في الرواية والقصة القصيرة في مصر)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م.

– د. شاكر عبد الحميد: الغرابة (المفهوم وتجلياته في الأدب)، عالم المعرفة، الكويت، العدد ٣٨٤، يناير ٢٠١٢م.

– د. صالح معيض الغامدي: كتابة الذات دراسات في السيرة الذاتية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م.

– د. صبري حافظ: (الرواية والحلقات القصصية وإشكاليات التجنيس)، فصول، القاهرة، مجلد ١٢، العدد الأول، ١٩٩٣م.

– صلاح عبد الصبور: حياتي في الشعر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، ١٩٩٥م.
– د. عبد الرحمن بدوي: الموت والعبقرية، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٤٥م.
– عبد الرحمن شكري: المؤلفات النثرية الكاملة، المجلد الأول، تحرير وتحقيق د. أحمد إبراهيم الهواري، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ١٩٨٨م.
– د. عبد المحسن طه بدر: تطور الرواية العربية الحديثة في مصر (١٨٧٠م– ١٩٢٨م)، دار المعارف، مصر، الطبعة الرابعة، ١٩٨٤م.
– د. عز الدين إسماعيل: التفسير النفسي للأدب، مكتبة غريب، مصر، الطبعة الرابعة، ١٩٨٤م.
– د. لطيف زيتوني: معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.
– د. ماهر شفيق فريد: عبد الرحمن بدوي (دراساته في الآداب الغربية)، مقالة ضمن كتاب تذكاري عن الكاتب بعنوان: عبد الرحمن بدوي نجم في سماء الفلسفة، إشراف : الدكتور أحمد عبد الحليم عطية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢م.
– د. محمد الباردي: عندما تتكلم الذات (السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث)، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٥م.
– د. محمد عثمان نجاتي: علم النفس والحياة (مدخل إلى علم النفس وتطبيقاته في الحياة)، دار القلم، الكويت، الطبعة ٢١، ٢٠٠٢م.
– محمود أمين العالم: كشف حساب مع الدكتور عبد الرحمن بدوي ومع نفسي، مقالة في كتاب تذكاري عن الكاتب بعنوان: عبد الرحمن بدوي نجم في سماء الفلسفة، إشراف: الدكتور أحمد عبد الحليم عطية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢م.
– د. مصطفى سويف: الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة، دار المعارف، الطبعة الرابعة، ١٩٨١م.